

عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

عديُّ بنُ الرِّقاعِ العامليُّ؛ شاعراً سياسياً:
دراسة موضوعية وفنية

جمال عبدالمجيد حسن وادي

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1435هـ/2014م

عَدِيُّ بنُ الرَّقَّاعِ العامليُّ؛ شاعراً سياسياً:

دراسة موضوعية وفنية

إعداد من الطالب

جمال عبد المجيد حسن وادي

بكالوريوس اللغة العربية وآدابها

في جامعة بيرزيت / كلية الآداب

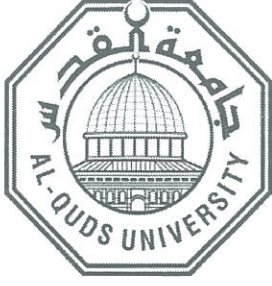
المشرف

د. جمال غيطان

قُدِّمَتْ هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

جامعة القدس

1435هـ / 2014م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها

إجازة رسالة

عديُّ بنُ الرَّقَّاعِ العامليُّ؛ شاعراً سياسياً:

دراسة موضوعية وفنية

اسم الطالب: جمال عبد المجيد حسن وادي

الرقم الجامعي: 20510129

المشرف: د. جمال غيطان

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 2014/ 5 /25م من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم

وتواقيعهم:

التوقيع:
التوقيع:
التوقيع:

1. د. جمال غيطان رئيس لجنة المناقشة
2. أ. د. مشهور الحبازي ممتحناً داخلياً
3. أ. د. إحسان الديك ممتحناً خارجياً

القدس - فلسطين

1435هـ / 2014م

الإهداء

إلى من فارقتنا قبل إنجاز هذه الرسالة، إلى أستاذي -المشرف على رسالتي سابقاً قبل أن ينتقل إلى جوار ربّه- المرحوم بإذن الله أ.د إبراهيم شحادة الخواجة، وأسأل الله تعالى أن يجزيه عنا خير الجزاء، فقد كان نعم المعلم والمُشرف والناصح والصديق.

إلى من أحببت طريق العلم، فكانت النور الذي أثار دربي؛

أمي الحبيبة

إلى الذي عاش مكافحاً وما زال،

أبي الغالي

إلى رفيقة الدرب في هذه الحياة، إلى من تحملت عناء هذه السنين،

يا من وقفت معي بخلو الحياة ومرّها

زوجتي

إلى زهرة الحياة الدنيا فأنتم أملي في هذه الحياة، وأرجو من الله

أن تكونوا أبناءً صالحين

ميسان، كندة، مصطفى

إلى الأحبة، أشقائي وشقيقتي، فلکم مني كلّ الحبّ، فأنتم سندي وعوني

إقرار

أقرّ أنا مُقدِّم الرسالة أنها قدِّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يُقدِّم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

جمال عبدالمجيد حسن وادي

التاريخ: / / 2014م

شكر وتقدير

أشكر عمادة الدراسات العليا، وكلية الآداب ودائرة اللغة العربية على جهودهم.

شكر خاص إلى أستاذي المشرف على الرسالة:

الدكتور جمال غيطان

على اهتمامه واحتضانه لي، والذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه.

وأشكر عضوي لجنة المناقشة الفاضلين لتكريمهما بمناقشة هذه الرسالة.

وامتناني لكلّ من وقف معي طوال دراستي الجامعية، وكل من شدّ من عزيمتي في الأيام العصيبة التي عشتها، أهلي وأصدقائي وزملائي وطلابي لكم مني كلّ شكرٍ وعرّفانٍ وتقديرٍ.

المخلص

تتناول هذه الدراسة الشاعر "عديّ بن الرقاع العامليّ"، شاعراً سياسياً، دراسة موضوعية وفنية" وتعدّ موضوعاً من موضوعات تاريخ الأدب العربي، وتكمن أهميتها في إبراز الجانب الشعري لشاعر من شعراء الأمويين، وإبراز التوجه السياسي متمثلاً في شعر المديح أولاً، حيث إن الدراسات السابقة تحتاج إلى شمولية، ولا سيما في الحديث عن شعر المدح في الديوان كون الشاعر من شعراء الخلفاء، كما أن بعض الباحثين ركزوا إما على الجانب البياني في الديوان، أو جاءت دراستهم غير كاملة وغير مستوفية لجوانب الموضوع، فكان تحليلهم للأغراض يحتاج إلى توسع ودراسة تشمل وتعالج شعر الشاعر بصورة أشمل، أضف إليها أشعار الفخر والهجاء والثناء التي تضاف إلى الجانب السياسي.

وأتبعت في هذه الدراسة المنهج التكاملي، من حيث الاعتماد على المنهج التاريخي في دراسة حياة الشاعر، ونشأة الأحزاب السياسية في العصر الأموي، وتعريف الشعر السياسي وعوامل تطوره، والمنهج التحليلي والوصفي في دراسة الأشعار دراسة موضوعية، ثم جاء ختاماً المنهج الفني الجمالي في دراسة الجانب الفني.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن الشاعر كان مغموراً طغت عليه شهرة غيره من شعراء الأمويين، مع أنه يستحق أن يكون شاعر بني أمية المقدم على قلة ما وصلنا من شعره؛ واستطاع أن يمثل من خلال شعره -الذي نظمه في ديوانه- توجّهاً سياسياً بارزاً جعله من المقدمين عند بني أمية بعامة، والخليفة الوليد بن عبد الملك بخاصة.

كما استطاع إبراز الحزب الأموي حزباً دينياً وسياسياً، وعمل على إبراز حق بني أمية في الخلافة، وصور معالم أحداث القرن الهجري الأول، في وقت كانت فيه الخلافات السياسية الداخلية في الدولة الإسلامية في أوجها، وشهداها الشاعر، وصور أحداثها مناصراً للحزب الأموي.

“Addi bin Riqā’e AlA’mily, as a politician poet”

Prepared by: Jamal Abdel Majeed Wadi.

Supervisor: Dr. Jamal Ghithan.

Abstract

This study deals with the poet, “Addi bin Riqā’e AlA’mily, as a politician poet” As a result of being one of the Umayyad caliphs court poets and it’s considered an episode in the research in the Arabic literature. Its importance stems from the fact that it highlights the poetic elements as well as the political orientation of the poet in his praise poetry. Previous studies about the poet were not comprehensive as they only highlighted on the poetic elements mainly praise poetry. Therefore, there was a need to elaborate more on the poet’s political orientation in his pride.

The Comprehensive approach was followed in this study and the historical approach in studying the poet’s life and the emergence of political parties in the Umayyad period. Also, the political poetry was defined and its development. Besides, the analytical and descriptive approach was followed in studying his poetry and finally the aesthetic approach was followed in the artistic part.

The study concluded that the poet was unfamous overshadowed by the fame of other poets of the Umayyad period, although that he deserved to be the foremost of the poets, despite the lack of what reached us from his poetry. However, he managed through his poetry with political orientation to be one of the favorites in the Umayyad court especially by caliph AlWaleed bin Abdul Malik.

Also, it was found that the poet was able to highlight the Umayyad party religiously and politically, and work to highlight the point of view of the Umayyad caliphate, and managed to describe the landmarks of events of the first Islamic century, at a time when internal political differences in the Islamic state in its heydays, and he witnessed and portrayed the events as an advocate of the Umayyad party.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المُعين على نوائب الدهر، والممتنّ علينا بفضلِهِ ونعمه، وأصلي وأبارك وأسلم على الهادي الأمين، معلّم البشريّة وهاديها إلى نور الحقّ المُبين، سيدنا محمدّ وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الوقت المعلوم، وبعد؛

فهذا بحث قدّمته استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها وموضوعه (عديّ بن الرّقاع العامليّ، شاعراً سياسياً: دراسة موضوعية وفنية)، وقد اخترتُ أن يكون مجال دراستي هذه مرتكزاً في الأساس على الجانب السياسي في ما روي من أشعار وردت في ديوان الشاعر عديّ بن الرّقاع العامليّ، سواء أكانت مثبتة في ديوانه الشعري أم في غيره من المصادر التي تناولت شعره، ممهداً لذلك بالحديث عن حياة الشاعر، والحديث عن نشأة حركة الشعر السياسي في العصر الأموي وتطوره؛ في الحقبة التي عاش فيها الشاعر، ثم بعد ذلك حللت شعر عديّ بن الرّقاع تحليلاً موضوعياً وفنياً.

وكان السبب الرئيس لاختيار هذا الموضوع هو أنني وجدت كثيراً من كتب الأدب تتحدث عن هذا الشاعر مناصراً للحزب الأموي والخلفاء الأمويين دون توسّع أو تحليل شامل لجوانب شعره موضوعياً وفنياً، بل كانت عبارة عن بعض الأخبار المدعّمة بالأشعار المناسبة لها دون شمولية، فرأيت أن أحلّل هذه الأشعار، خاصة شعر المديح الذي برز بشكل كبير في الديوان.

والسبب الثاني هو أن الشاعر عديّ بن الرّقاع ليس من الشعراء المشهورين الفحول الذين ذاع صيتهم في الاتجاه السياسي بالذات، فهو لم يحز على الهالة التي أحاطت ببعض الشعراء المرموقين في عصره كجرير والفرزدق والأخطل على الرغم من أنه عاش معهم وبينهم في بلاط الخلفاء، لذا آثرت أن أحاول من خلال دراستي هذه إبراز هذا الشاعر الذي قال عنه النقاد إنه آية في الشعر. وتتمثل أهمية موضوعي هذا في أنه يرصد جانباً مهماً من شعر أحد الشعراء المقربين من بعض الخلفاء الأمويين وهو الجانب السياسي، وذلك من خلال تسليط الضوء على هذا الجانب بشكل مباشر؛ بهدف إبراز الدور الذي شارك فيه عديّ بن الرّقاع كغيره من الشعراء في سياسة الأمويين،

حيث طغت شهرة المُكثَرينَ من الشعراء على المقلِّينَ من أمثال عديِّ بن الرِّقَّاع، لاسيما أن معظم ديوانه الشعري في شعر المديح.

والدراسات السابقة التي دُرِسَ فيها شعر الشاعر عديِّ بن الرِّقَّاع رسالتنا ماجستير، الأولى رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية بعنوان (عديُّ بن الرِّقَّاع العاملي: حياته وشعره) وقدمت في العام 1999، لتحسين محمد الصَّلَّاح، وفيها دراسة غير شاملة لكل جوانب حياة ابن الرِّقَّاع، وعالج فيها الباحث جزءاً من أشعاره، وذلك لأن الباحث اعتمد فيها على الأشعار الواردة في الكتب التاريخية والأدبية وكتب البلاغة، ولم يعتمد على ديوان عدي بن الرِّقَّاع الشعري، فبدأ لي بعد رجوعي إليها ودراستها أنها تحتاج إلى توسيع للموضوعات، وتكملة جوانب النقص فيها.

وثاني هذه الدراسات رسالة ماجستير من جامعة أم القرى بعنوان (التصوير البياني في شعر عدي بن الرِّقَّاع)، لمريم الحارثي وقدمت في العام 2001م، وهي دراسة بلاغية، تطرقت فيها الباحثة لبعض جوانب حياة عدي بن الرِّقَّاع دون شمولية، وركزت على الجانب البلاغي في شعره.

واتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي لأنه أفضل المناهج في مثل هذه الدراسات، ولأنني بحاجة إلى مناهج عدة في ذلك، فمعالجة الظروف التي أحاطت بالشاعر في الحقبة التي عاش فيها ونشأة الشعر السياسي وتطوره تاريخياً تعتمد المنهج التاريخي، ودراسة أشعار الشاعر موضوعياً بحاجة للمنهج الوصفي والتحليلي، وفي النهاية عمدت إلى اتباع المنهج الفني في تحليل القصائد فنياً.

قسّمتُ موضوعي إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، ففي المقدمة حديث عن موضوع الرسالة وأسباب اختيار الموضوع، والصعوبات التي واجهتها في إنجازها، إضافة إلى بيان موجز ومختصر للموضوعات المعالجة فيه، وفي التمهيد كان الحديث مختصراً عن حياة الشاعر ونسبه وقبيلته وأخلاقه وبيئته وشعره مركزاً على أسباب ضياع شعره ووجهته السياسية، موطناً بذلك للدخول في الفصول الرئيسية في البحث.

أما الفصل الأول فهو بعنوان "حركة الشعر السياسي في العصر الأموي"، وفيه تعريف للشعر السياسي وحديث عن نشأته، وأسباب تطوره؛ ولا سيما النزاع حول الخلافة والإمامة والخصومات القبلية والتكسب، ودعوة الحزب الأموي ووجهته السياسية، وفي المقابل الشعر في خدمة الأحزاب السياسية الأخرى كالثيعة والخوارج والزيبريين وغيرهم.

ويأتي الفصل الثاني الدراسة لمعالجة القضية الأساسية التي أشرت إليها وهي إبراز التوجه السياسي لعدي بن الرقاع من خلال شعره، وذلك بالوقوف عليها وعلى مناسباتها وأغراضها دراسة موضوعية من خلال تقسيم أشعاره إلى قسمين رئيسين: المبحث الأول جاء في غرض المديح، كونه الغرض الأبرز في الديوان، فقد احتوى الديوان على سبع عشرة قصيدة مديح من مجموع تسع وعشرين، أي ما يعادل ثلثي القصائد، والمبحث الثاني جاء بعنوان الأغراض الشعرية الأخرى فقد احتوت تفسيراً سياسياً في مضمونها وهي أغراض الهجاء والفخر والرتاء.

وأخيراً تناول الفصل الثالث دراسة ديوانه الشعري دراسة فنية، بدءاً من الصورة الشعرية متمثلة بالتشبيهات والاستعارات والكنيات، ثم بناء القصيدة وهيكلتها، وانتهاء بأسلوب الشاعر من حيث الأسلوب، والمحسنات البديعية، اللفظية منها والمعنوية. وختمت دراستي بخاتمة أوضحت فيها ما توصلت إليه من نتائج باختصار إضافة للتوصيات.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه تعالى، وسنداً يضاف إلى غيره من أنواع العلوم والمعارف، والله الهادي إلى سواء السبيل فهو ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

عديُّ بن الرقاع:

1. اسمه، وكنيته، ونسبه.
2. قبيلته، وأصولها التاريخية، وسبب تسميتها، ومنازلها.
3. مولده.
4. أسرته.
5. وفاته.
6. صفاته.
7. شعره.

التمهيد

رأيت في مستهل هذه الدراسة أن أبدأ بهذا التمهيد بغية التعرف على الشاعر عدي بن الرقاع العاملي- موضوع الدراسة- ممهداً للفصول الثلاثة التي تتشكل بائتلافها مجتمعةً دراسيةً هذه، ويتمثل ذلك من خلال الوقوف عند أبرز جوانب حياة هذا الشاعر، موضحاً من خلال هذه الوقفة كل ما تعلق بنسب الشاعر ومولده ونشأته ووفاته وقبيلته ومنزلته وديوانه الشعري، وأبرز الجوانب المهمة في حياته التي كان لها دور بارز في صقل شخصيته، وأسهمت إسهاماً كبيراً في إنتاجه الشعري.

وسيشمل هذا التمهيد أيضاً الحديث عن صفات الشاعر وأخلاقه التي اتصف بها طيلة حياته وذلك بالعودة إلى الآراء التي قيلت فيه، أو التي وردت في ما روي عن النقاد والمؤرخين، بالإضافة إلى ما برز منها من خلال شعره.

ولا بدّ أيضاً من الوقوف على ديوانه الشعري، الذي سنقف عند نسخته التي رواها أبو العباس ثعلب (ت 291هـ) التي حُققت في الثمانينيات من القرن الماضي، مذكراً بما اعترى هذه النسخة من أخطاء واختلاف وضياح في رواية قصائدها ومقطعاتها الشعرية بالمقارنة مع النصوص الواردة في كتب التاريخ والأدب والنقد واللغة، مروراً بأهم قصائده ومقطعاته الشعرية وذلك من خلال وصف مقتضب للأغراض والموضوعات الشعرية فيه؛ وذلك لأن الاعتماد الكبير سيكون على ديوانه الشعري في هذه الدراسة.

1. اسمه، وكنيته، ونسبه

هو "عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عدة بن شعل بن معلوية بن الحارث"¹، وذكر أبو العباس ثعلب جامع الديوان في مقدمة القصيدة الأولى: "أن الحارث هو عاملة بن عدي بن قاسط ابن عميرة بن زيد بن الحاف بن قضاة"²، ثم أضاف: "هكذا نسبه النسابةون، والله أعلم"³.

¹ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 418.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 41. مقدمة القصيدة الأولى.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 41.

أما أبو الفرج الأصفهاني فترجم له بقوله: "هو أبو ذؤاد (أو ذؤاد) عديّ بن زيد بن مالك بن الرقاع العامليّ من بني عاملة، نسبه الناس إلى الرقاع وهو جدُّ جدّه لشهرته"¹، وأيضاً للتفريق بينه وبين عديّ بن زيد العبّادي المشهور، ولا تفيدنا المصادر شيئاً عن جدّه الرقاع سوى أنه كان مشهوراً²، ونعته ابن ذرّيد بشاعر أهل الشام³.

وثمة رأي لابن حزم الأندلسي يقول فيه إن عديّ بن الرقاع لا ينتمي إلى عاملة بصلّة قريبي أو رحم، وإنما انتمى إليهم انتماء، وقال إنه ينتمي إلى فرع من نزار⁴، ونسبه ياقوت الحموي في معجم البلدان إلى قبيلة طيّئ التي منها الشاعر المشهور حبيب بن أوس الطائي⁵، ولم أجد أحداً من أصحاب التراجم ذكر أن عديّاً بن الرقاع كان طائياً في نسبه⁶، وعديّ نفسه يردّ على الحموي نسبته هذه⁷:

البيسط

وطيّئٌ معشراً ناءٍ ومجمَعنا أقصى الديارِ وأرباهمُ إلى أددِ

وهذا التناقض في الآراء حول نسب الشاعر كان جزءاً من الخلاف الكبير الذي اتسع مضماره بين الرواة والمؤرخين حول نسب قبيلته عاملة.

2. قبيلته؛ أصولها التاريخية، وسبب تسميتها ومنازلها

كنت أشرت في الحديث عن نسب الشاعر أنّ الجدّ الرابع لعديّ كان يسمى عاملة، أو لربما كان اسم الشهرة الذي يحمله؛ إن لم يكن لقبه، واسمه الآخر هو "الحارث بن عديّ بن قاسط بن

¹ الأصفهاني، الأغاني، 9 / 307.

² ينظر: تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع العاملي، حياته وشعره، 28.

³ ينظر: ابن دريد، الاشتقاق، 375.

⁴ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 300.

⁵ الحموي معجم البلدان، 94/2.

⁶ تحسين محمد الصلاح، م.س، 28.

⁷ عديّ بن الرقاع، الديوان، 176. طيّئ: إحدى قبائل العرب القحطانية اليمانية الأصل، أرباهم: أعلامهم، (اللسان، مادة، ربا)، أدد: هو أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير، وهو أبو قبيلة من اليمن (اللسان، مادة، أدد).

عميرة بن زيد بن إحصاف بن قضاة¹، وبه تسمت القبيلة عاملة، واختلف المؤرخون كثيراً في كون قبيلة عاملة قحطانية أم عدنانية، وقد لخص ابن عبد البرّ هذا الاختلاف في قوله: "عاملة بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيل عاملة بن مدركة بن إلياس بن مضر"².

ويعزو بعض المؤرخين هذا التناقض في الآراء إلى قلة شهرة هذه القبيلة بين العرب نتيجة لتشرذمها وتفرق شملها على أيدي القرامطة³، ويدعمنا في قولنا هذا أن بعض النسّابين زعموا أن قبيلة عاملة من القبائل القحطانية، وأنها انتسبت إلى العدنانية، وقد ورد هذا الانتساب شعراً على لسان أبي سمّال الأسدي⁴ إذ يقول⁵:

البيسط

أبلغ جذاماً ولخماً إن عرّضت بهم	والقوم ينفعهم علماً إذا علموا
والقوم عاملة الأثرين قل لهم	قولاً سبّغهُ الوسّاجة الرّسّم
لأنتم في صميم الحق إخوتنا	إذ يُخلق الماء في الأرحام والنّسّم

وهذا الشعر -كما رأينا- لشاعر من بني أسد قاله عندما "قدم خالد بن عبد الله القسري⁶ أميراً على العراق ومعه قوم من جند الشام فيهم من لحم وجذام، فأهدت لهم بنو أسد بن خزيمة، فقالوا: أنتم قومنا"⁷.

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 41. في التقديم للقصيد الأولى في ديوان عدي بن الرقاع.

² ابن عبد البرّ، الإنباه على قبائل الرواة، 103.

³ ابن حزم، الجمهرة، 300.

⁴ ابن حزم، م.ن، 300.

⁵ مصعب الزبيري، نسب قريش، 9. جذام ولخم: من قبائل العرب القحطانية اليمانية الأصل، وكانت منازل هذه القبائل في الجاهلية شرق الجزيرة العربية وشمالها، الوسّاجة: ضرب من سير الناقة، ومفردها ناقة وسوّج، أي سريعة، (اللسان، مادة، وسج)، النّسّم: نفس الروح، (اللسان، مادة، نفس).

⁶ خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجليّ القسريّ الدمشقيّ، أمير العراقيين لهشام، قائد أمويّ، عدنانيّ سكن دمشق أيام الأمويين، ويكنى أبا القاسم، أو أبا الهيثم، وقد تباينت أقوال المراجع بشأن سيرته، فمنهم من ذمه وشمته، ومنهم من مدحه وبجله. (ينظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 226/2، وينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 432-425/5).

⁷ مصعب الزبيري، نسب قريش، 5.

وقد علّق أبو العباس ثعلب -جامع الديوان- على ذلك بقوله: "وكانت عاملة على نسبتها زماناً ثم قالوا نحن بنو قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربِيعَة بن نزار"¹.

ويرى من رأى أنّ عاملة قحطانية أنهم "حيّ من كهلان من عرب اليمن ينتهي نسبهم إلى قحطان، وهم ولد الحارث بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ونُسبوا إلى أمهم عاملة بنت مالك بن ودِيعَة بن قُضاعة، نزحوا عن اليمن إلى بلاد الشام مع من نزح من اليمانيين قبل الإسلام، واستقروا في بلاد الشام ولا سيما في جبال سوريا ولبنان، وعرفت بجبال عاملة، وكان لهم صنم في مشارف الشام يقال له الأقيصر، وكانوا يحجّون إليه، ويحلقون رؤوسهم عنده"²، وأشار ابن دريد مؤكداً هذا الانتماء بقوله: " عاملة بطن من بطون اليمن"³.

ووجهت هذه النسبة برأي من قال إنّ عاملة من القبائل العدنانية، ومنهم ابن حزم الأندلسي إذ إنه أرجع نسبهم إلى القبائل النزارية -كما رأينا في نسب عديّ-، وسانده الفلقشندي عندما قال "إنّ نسابة مضر يزعمون أنّ عاملة من ولد قاسط بن عامر بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربِيع بن نزار"⁴، ولكنه ناقض رأيه في موضع آخر في قول له حيث أرجع نسبهم إلى القبائل السبئية⁵.

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 175.

² ينظر: المبرد، نسب عدنان وقحطان، 20، وينظر: عمر كحالة، معجم قبائل العرب، 2/ 714.

³ ابن دريد، الاشتقاق، 158.

⁴ الفلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، 106.

⁵ الفلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، 322.

وعَدِيَّ بن الرِّقَاع بدوره خاض غمار معركة نسبه ونسب قبيلته، قال رُوْحُ بن زنباع الجذامي¹ -وهو من القحطانيين- ليزيد بن معاوية يوماً: يا أمير المؤمنين أَلْحَقْنَا بِأَخَوْتِنَا مِنْ مَعَدٍّ، فَإِنَّا مَعَدِّيُونَ، وَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ مِنْ قَصَبِ الشَّامِ وَلَا مِنْ رِعَافِ الْيَمَنِ، فَقَالَ يَزِيدٌ: إِنْ أَجْمَعَ قَوْمُكَ عَلَى ذَلِكَ جَعَلْنَاكَ حَيْثُ شِئْتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَدِيَّ بْنَ الرِّقَاعِ فَقَالَ²:

البيسط

إِنَّا رَضِينَا وَإِنْ غَابَتْ جَمَاعَتُنَا
مَا قَالَ سَيِّدُنَا رُوْحُ بْنُ زَنْبَاعِ
يَرَعَى ثَمَانِينَ أَلْفًا كَانَ مِثْلَهُمْ
مِمَّا يُخَالِفُ أَحْيَانًا عَلَى الرَّاعِي

وبلغ هذا الأمر نائل بن قيس الجذامي³؛ فجاء يركض على فرسه إلى مجلس الخليفة ووثب عنه وقال: أين الغادر الكاذب روح بن زنباع؟ وقال ليزيد: يا أمير المؤمنين ما نعرف شيئاً مما قاله ولا نقرّ به، ولكننا قومٌ من قحطان يسعنا ما يسعهم، ويعجز عنا ما يعجز عنهم، فأمسك روحٌ ورجع عن رأيه، وغير ابن الرِّقَاع رأيه أيضاً فقال⁴:

الكامل

أضلالٌ ليلٍ ساقطٍ أكنافه
في الناسٍ أعزُّ أم ضلالٌ نهارٍ
قحطانٌ والدنا الذي ندعى له
وأبو خزيمة خندفُ بنُ نزارٍ
أنبيعُ والدنا الذي ندعى له
بأبي معاشرٍ غائبٍ متواري
تلك التجارة لا نجيبُ لمثلها
ذهبٌ يُباعُ بآنكٍ وأبارٍ

¹ رُوْحُ بن زَنْبَاعِ الجذامي، وهو ممن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، من قبيلة جذام، كان صاحب الشرطة أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان لا يفارقه، وهو من تنبأ في ذكاء الحجاج بن يوسف الثقفي ومهارته القيادية، وبذلك قدمه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي اعتمد عليه في إرساء حكم بني أمية. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4/ 251-252، وينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 1/ 148).

² عَدِيَّ بن الرِّقَاعِ، الديوان، 258.

³ نَائِلُ بن قَيْسِ بن زَيْدِ بن حَيَاءِ القَحْطَانِيّ الجذامي، من أهل فلسطين، وكان سيد جذام بالشام، خرج على عبد الملك بن مروان فبعث إليه عمرو بن سعيد فقتله. (ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 7/ 243-244).

⁴ عَدِيَّ بن الرِّقَاعِ، م.س، 256. الأتكَ والأبَار: بضم النون هو الرصاص القلعي، المعادن التي لا يمكن مبادلتها بالذهب لأنها لا تساويها. (اللسان، مادة، أنن).

فقال له الخليفة: غيّرت يا بن الرّقاع، فردّ عليه: إن ناتلاً والله عليّ أكثرهما سخطاً،
وأنصحهما لي ولعشيرتي"¹.

وعن تفرّق قبيلته وتشرذمها يقول عدّي بن الرّقاع²:

الخفيف

وَلَقَدْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ هُمُّ مَثَلُهُ فَلْيُزِعْ فُؤَادَ الْحَلِيمِ
إِنَّ قَوْمِي تَفَرَّقُوا بَعْدَمَا كَا نُوا هُمُ الْقَوْمُ فَابْكَ غَيْرَ مَلُومِ
وَلَقَدْ يَخْفَضُ الْمُجَاوِرُ فِيهِمْ غَيْرَ مُسْتَشْرِفٍ وَلَا مَذْمُومِ

ولم تفت معركة نسب عاملة عند ذلك الحدّ بل كان للشعراء نصيب منها، إذ إننا نجد الراعي
النميري يهجو عدياً ساخراً وحاطاً من قدره، لأنه لا يتصل بالقبائل النزارية بأي من صلات القربى؛
ولا حتى بالقبائل القضاعية، فهو غير معروف النسب، حيث قال بحقه³:

البسيط

لو كنتَ من أحدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ يَا ابْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدِ
تَأْبَى قُضَاعَةً لَمْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نِزَارٍ وَأَنْتُمْ بِيضَةُ الْبَلَدِ

فهذا تشهير واضح من الراعي بابن الرّقاع بأنه ليس من أحد حتى يُهجي، فلو عرف أصله
لهجي به، في وقت كانت القبائل تتهاجى بصفات أو أخلاق عامة معروفة بينها.

ولم يكن الراعي وحده في ميدان الحرب على الأنساب بين عدّي ومعاصريه من الشعراء، فهذا
جرير بن عطية يتصدى لابن الرّقاع في أكثر من موقف في مجالس الأمويين، ففي حادثة مماثلة
يحتقر فيها جرير نسب ابن الرّقاع، إذ يقول في قصيدة طويلة هجا به عدياً وقومه⁴:

البسيط

أَقْصِرْ فَإِنَّ نِزَارًا لَنْ يُفَاخِرَهَا فَرَعٌ لَيْمٌ وَأَصْلٌ غَيْرُ مَعْرُوسِ

¹ الأصفهاني، الأغاني، 309/9.

² عدّي بن الرّقاع، الديوان، 140.

³ الراعي النميري، الديوان، 79. بيضة البلد: هي في الأصل بيضة النعام، ويقال فلان بيضة البلد إذا عُرف بالسيادة.

⁴ الأصفهاني، م.س، 308/9.

وإذا تأملنا هذه البيت الأنف الذكر نرى أنه يدل على أن جريراً ينفي انتساب عديّ بن الرّقاع إلى القبائل النزارية (ربيعة ومضر)، ويتهمه بأنه ذو أصل غير مغروس، بمعنى عدم الثبات والرسوخ كالجذور الثابتة في الأرض، أو كالفروع الضعيفة البعيدة كلّ البعد عن الأصول.

ومع كل هذه الحوادث والأشعار نصل إلى حقيقة مؤداها أن الاختلاف في نسب عاملة لا شكّ حاصلٌ، وأنه لا يمكن التثبت من هذه القضية على وجه الدقة، ولكن بالرغم من اختلاف الروايات في نسب عاملة نجد أنفسنا أقرب ميلاً إلى القول إنّ نسبة عاملة على قحطان أقرب على الصواب من نسبتها على عدنان.

ولعل شعر ابن الرّقاع يقطع الشكّ باليقين في هذه المسألة، إذ إنه كثيراً ما يتحدّث عن نسبه القحطاني في أكثر من موقف، وعلى الرغم من قصته مع روح بن زنباع والخليفة يزيد إلا أن هذه القصة لا تقف أمام شعر الشاعر الذي يثبت فيه نسبه في القبائل اليمينية، وهو إنما أراد أن يتخلى عن نسبه لأسباب كثيرة سنقف عندها في الحديث عن مواقف الشاعر السياسية من الأمويين، فمن شعره الذي يتحدّث فيه عن نسبه القحطاني قوله¹:

البيسط

وما قُضاعةٌ عن نصري بناييةٍ	إذا تسامت قُرومُ النَّاسِ في لَبْدِ
إخواننا حميرٌ تبني التمامَ لنا	والحمْدُ لا يُبْتَنَى إلا على عمَدِ
جُدَامُ أُخوتنا الأذنونَ قد علموا	وما أخوهم بمضطرٍّ ولا وجدِ

وثمة أمر آخر يضاف إلى ما تقدّم من الخلافات في نسب القبيلة وتسميتها؛ وهو أن هذه القبيلة -عاملة- ربما لم تكن معروفة عند العرب بشكل كبير كما هو الحال عند كثير من قبائل العرب، ويمكن القول إن قلة شهرتها نابع من أسباب الاختلاف في أصولها وتسميتها وتشرذمها بين القبائل وتنازلها عن نسبها وتخليها عنه ولجؤها إلى القبائل العدنانية.

¹ عديّ بن الرّقاع، الديوان، 176.

وقد أوردت كتب النسب والتاريخ والأدب حادثة تدل من خلالها على حقيقة عدم شهرة هذه القبيلة، فقد قيل إن بعض الجالسين في مجلس الخلافة ذكروا من الشعراء كثيراً وابن الرقاع فاختلفوا فيهما أيهما أشعر، فقال جرير وكان من بين الجالسين: لقد قال كثيراً بيتاً من الشعر هو أشهر وأعرف في الناس من عدي بن الرقاع نفسه، والبيت هو:

الطويل

أَنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جَبْرَةٌ وَصَاحَ غَرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ حَزِينُ؟

فحلف الخليفة بقوله: لئن كذبت يا جرير - وكان عدي أعرف وأشهر في الناس من بيت كثيراً - لتسرجن وليركبن عدي على ظهرك، وأمر الخليفة واليه على المدينة بأن يسأل الناس بعد أن يفرغ من خطبة الجمعة عن هذه القضية، فلما سألهم عن البيت عرفه جلُّ الناس وأصبح صوتهم يرتفع في المسجد: كثيراً، كثيراً، ولما سألهم عن نسب عدي بن الرقاع لم يعرفه أحد سوى أعرابي كان يجلس في مؤخر المسجد وقال: هو من عاملة¹.

وهذه الحادثة ليست غريبة في التاريخ؛ فمثل هذه القضايا كانت تحدث كثيراً في العصور السالفة، حيث كان اهتمام الناس كبيراً بالأنساب وتسلسلها، وكان هناك تفاخر وتفاضل في الانتماء أو الانتساب لقبيلة أو لأخرى، فانتفاء شاعر لقبيلة من قبائل العرب ذات المكانة العالية لهو شرف كبير يفوق انتسابه بصلة الدم والقربى لقبيلته، إن كانت من القبائل التي تسيطر عليها القبائل الكبرى وتستضعفها. لذا؛ كانت النتيجة أن الغموض قد لفَّ نسب قبيلة الشاعر عدي بن الرقاع ونسبه.

وثمة عامل آخر أود أن أشير إليه في هذا المجال نظراً لأهميته، وهو أن القبائل التي سكنت البوادي ازداد اهتمامها بالنسب قياساً بالقبائل التي سكنت الحواضر، وذلك إذا استثنينا حاضرتي مكة والمدينة والحواضر التي كانت على الطرق التجارية، فهي كانت مراكز ثقافية وتجارية أدى الاختلاط الأدبي والاجتماعي فيها إلى اهتمام القبائل التي سكنتها بالأنساب لمعرفة القبائل الأصيلة من الفئات الوافدة، ناهيك عن أن قبيلة عاملة التي ينتمي إليها الشاعر عدي بن الرقاع سكنت بلاد الشام واتخذتها

¹ ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 309/9 - 310.

موطناً لهم¹، وهي كانت إلى حد ما معزولة عن المراكز التجارية، واشتهرت في العصر الأموي لأن حاضرة الخلافة كانت قريبة منها، كما كان لتشيدهم دور جلي في اختلاط أنسابهم وتشردمها بين القبائل. ويقول الهمداني: "ديار عاملة مجاورة للأردن، وجبل عاملة مشرف على عكا من قبل البحر ويليها، وهذا الجبل يطل على الأردن، وعاملة في جبلها مشرفة على طبرية نحو البحر"².

وقد سكن معظم أبناء هذه القبيلة في بلاد الشام واتخذوها موطناً لهم³، وهناك بطون منها هاجرت إلى أماكن متفرقة كالعراق والجزائر، وقد عرفت المنطقة الجغرافية التي سكنوها باسمهم فسميت جبال عاملة⁴، وتكاد تجمع المصادر الجغرافية والتاريخية⁵ -التي عدت إليها- على أن ديار عاملة سكنت المناطق الغربية من سورية بما فيها لبنان وشمال فلسطين.

3. مولده

لم تذكر الكتب التاريخية السنة التي وُلِدَ فيها عَدِيّ بن الرقاع، ولكن يغلب على الظن أن مولده كان في بداية العقد الرابع من القرن الأول الهجري، وخير ما يدلنا على هذا الرأي أن أول ما روي عنه من الشعر أبياتٌ قالها في زمن الخليفة يزيد بن معاوية وأنشده إياها، عندما تحدث عن نسبه، ويزيد بن معاوية تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ستين هجرية، وتوفي سنة أربع وستين.

وتداخلت عدة عوامل أسهمت في عدم معرفة تاريخ ولادة عدي بن الرقاع؛ وهي أن المؤرخين اختلفوا في نسبه ونسب قبيلته واسمها، فكيف لا يُختلف على سنة ولادته، في وقت كان فيه النسب أهم من تواريخ الولادة أو الوفاة؟

¹ الهمداني، صفة جزيرة العرب، 272.

² الهمداني، م.ن، 274.

³ ينظر: الهمداني، م.ن، 272.

⁴ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، 162.

⁵ ينظر: ، الهمداني، م.س، 273.

وقد عاش عديّ بن الرّقاع في دمشق، وكان منزله بها، فهو من حاضرة الشعراء وليس من باديتهم¹، ونشأ بها في حقبة كانت دمشق عاصمة للدولة الأموية، حيث عاش ولم يخرج عن إطارها، وكان يلقب بشاعر أهل الشام².

4. أسرته

يقول المؤرخون والمتابعون سيرته إنه كان متزوجاً؛ لأنهم ترجموا له بكنية أبي داود أو دؤاد، وذكروا أن له أولاداً، أو على الأقل أنه أنجب ولداً وبنتاً، أما الابن فنذكر أنفاً من خلال ترجمتهم له بكنيته أبي داود أو دؤاد، وأما البنت فقصتها معروفة في كثير من مصادر الأدب والتاريخ التي عُدت إليها، حيث يُذكر بأنه كان لابن الرّقاع بنت شاعرة واسمها سلمى، وحدثت القصة عندما جاء نفر من الشعراء ليجادلوه، وكان غائباً عن منزله، فخرجت إليهم وقالت لهم بيتاً من الشعر لم يُذكر لها غيره في بطون الكتب وهو قولها:

الطويل

تَجَمَعْتُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلَدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَأَزِلُّنَّ قَرْنَ وَاحِدٍ

فانصرفوا عنه ولم يهاجوه³.

وذكرت بعض المصادر أنه كان لعديّ زوج تدعى سلّومة، وقد ورد ذكرها في ديوانه في مطلع قصيدة له⁴، ولكنه لم يصرح بأنها زوجته، وإنما بعض من شرح أشعاره أشار إليها. أما بعضهم الآخر كتغلب شارح الديوان الذي بين أيدينا فذكر أن سلّومة امرأة من بني ضبّة، وهي بنت حُرَيْبِ بن زَيْدٍ كانت تحت حابس بن ضمّرة الضبّيّ، وكان حابس من أكرم الناس على الوليد بن عبد الملك

¹ الأصفهاني، الأغاني، 307/9.

² ينظر: ابن دريد، الاشتقاق، 375.

³ ينظر: الأصفهاني، م.س، 304/9.

⁴ ينظر: عديّ بن الرّقاع، الديوان، مطلع القصيدة التاسعة عشرة، 186

بن مروان¹، يقول عَدِيّ في مطلع قصيدته التي يمدح فيها الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان²:

البسيط

عَدَا وَلَمْ يَفْضِ مِنْ سَلُومَةِ الْوَطَرَا وَمَا تَلَبَّثَ إِذْ وَلَّى وَمَا انْتَضَرَا

وقد ورد بيت من الشعر له قاله في مدح عبد الملك بن مروان³ يفيد بأن له أخوة، وكانوا على قيد الحياة مع أمه وأبيه فقال⁴:

المتقارب

فِدَاؤُكَ أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا وَإِنْ شِئْتَ زِدْتُ عَلَيْهِمُ أَبِي

وتعليقاً على هذا البيت يروي بعض المؤرخين أنه كان لعَدِيّ أخ شاعرٌ اسمه يزيد بن الرِّقَاع⁵.

5. وفاته

لم يذكر أحدٌ ممن ترجموا له أيّ خبرٍ يحدد فيه سنة وفاة عَدِيّ بن الرِّقَاع إلا ونجد له نقيضاً، ووجدت أن معظم الآراء القريبة من الصواب في هذه القضية يدور حول وفاته في خلافة عمر بن عبد العزيز (ت 101 هجرية)، التي استمرت عامين، وكانت خلافة عمر بن عبد العزيز ابتدأت بسنة تسع وتسعين وانتهت في السنة الأولى بعد المائة الهجرية، فلا يستبعد المؤرخون أن يكون عَدِيّ قد

¹ عَدِيّ بن الرِّقَاع، الديوان، 186.

² عَدِيّ بن الرِّقَاع، م.ن، 186.

³ عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، من أعظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة فقيهاً متعبداً ناسكاً، استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة 65 هجرية)، فضبط أمورها، وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة، واجتمعت عليه الكلمة بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير، وهو أول من صك الدينار في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم، توفي في دمشق (سنة 86 هجرية). (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 246/4 - 249، وينظر: الزركلي، الأعلام، 165/4).

⁴ عَدِيّ بن الرِّقَاع، م.س، 249.

⁵ تحسين محمد الصلاح، عَدِيّ بن الرِّقَاع: حياته وشعره، 31.

توفي في خلافته¹، فعلى أبعد تقدير كانت وفاة عديّ بن الرقاع العاملي في السنة الأولى بعد المائة الهجرية الأولى.

وقد استدل المؤرخون على ذلك من خلال مجموعة من الأبيات والمقطعات قالها في عمر بن عبد العزيز، ومن ذلك قوله مادحاً إياه²:

الطويل

مَدَحْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي اصْطَفَى لَنَا رَبُّنَا فَضلاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
فَمَا فِي بَنِي حَوَاءَ فَرَعٌ يَفُوقُهُ بِفَاضِلَةٍ دُونَ النَّبِيِّ الْمُكْرَمِ

وقد بنيت معظم الآراء - كما يبدو - قياساً على الأشعار التي نظمها عديّ بن الرقاع في مدح عمر بن عبد العزيز.

ومن الآراء التي تتناقض رأي وفاته زمن خلافة عمر بن عبد العزيز ما ذكره المرزباني في الموشح عندما ترجم لعديّ بن الرقاع، حيث قال "إنه توفي في السنة السادسة والعشرين بعد مائة من الهجرة"³، وقد ذهب المرزباني إلى هذا الزعم لأن عدياً مدح عمر بن الوليد بن عبد الملك بقصائد كثيرة حازت على نصيب وافر من ديوانه، وتوفي عمر بن الوليد (ت 26 هجرية)، أي في السنة التي قال المرزباني إن عدياً توفي فيها؛ وهي السنة السادسة والعشرون بعد المائة الهجرية الأولى، وهذا الاستدلال بعيد عن الصواب؛ فليس من الضروري أن يكون الشاعر قد مات بموته وإن كان مَدَحَهُ.

وهذه القصائد أو المقطعات المدحية في عمر بن الوليد لا تظهر ما يمكن أن يُتَكاً عليه في تحديد سنة نظمها حتى نستطيع أن نثبت ما ذهب إليه المرزباني، فلربما مدحه في حياة والده وجده

¹ خليل مردم، الشعراء الشاميون، 18.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 47.

³ المرزباني، الموشح، 300.

كما مدح غيره من الأمراء، فقد مدح عبد العزيز بن الوليد¹، وله أبيات تهنئة بزواجه في حياة جده عبد الملك²، وله قصيدتان في مدح الأسوار³.

وأشعار المديح في عمر بن الوليد كانت في ولاية أبيه - كما سنرى ذلك من خلال الوقوف على شعر المديح في الأمويين-، لأن ابن الرقاع كان على علاقة خاصة بالوليد بن عبد الملك (ت 96 هجرية)، فأحب عمرَ أحب أبيه فمدحه في حياته إكراماً له، فقد قال عديّ لعمر بن الوليد في إحدى القصائد التي مدحه بها⁴:

الكامل

عُمْرُ الَّذِي جَمَعَ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا وَابْنُ الْخَلِيفَةِ أَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ

فالشاعر يصرح بأنه ابن الخليفة، أي أنه مدحه في حياة أبيه.

ويروى أن الشاعر مدح عمر بن الوليد (ت 126 هجرية) وأخاه عبد العزيز بن الوليد (ت 138 هجرية)، في حياة جدهما عبد الملك (ت 86 هجرية)، ولاسيما الأبيات التي قالها في زواج عبد العزيز بأم حكيم، حيث كان الخليفة عبد الملك بن مروان أمرَ بإدخال الشعراء إلى مجلس الخلافة ليقولوا شعراً في هذه المناسبة، فأدخلت إليه مجموعة من الشعراء، ووقع الاختيار على جرير وابن الرقاع، وبدأ عديّ بقصيدته، فقال⁵:

الكامل

قَمَرُ السَّمَاءِ وَشَمْسُهَا اجْتَمَعَا بِالسَّعْدِ مَا غَابَا وَمَا طَلَعَا
مَا وَارَتْ الْأَسْتَارُ مِثْلَهُمَا مَنْ ذَا رَأَى هَذَا وَمَنْ سَمِعَا

¹ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك أبو الأصعب الأموي، وهو ابن أخت عمر بن عبد العزيز، ولي نيابة دمشق، وعزم أبوه على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ليولي ابنه هذا، فامتنع عمر بن عبد العزيز، وقال لسليمان: في أعناقنا بيعة، فغضب الوليد، وكان عبد العزيز لبيباً عاقلاً دعا إلى نفسه بالخلافة، فلما سمع باستخلاف خاله سكن ودخل في الطاعة. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 5/149-150).

² عديّ بن الرقاع، الديوان، ذيل الديوان، 257.

³ ينظر: عدي بن الرقاع، م.ن، القصيدتان الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، (177-191).

⁴ عديّ بن الرقاع، م.ن، 162.

⁵ عديّ بن الرقاع، م.ن، 257.

دَامَ السُّرُورُ لَهُ بِهَا وَلَهَا وَتَهَنَّا طُولَ الْحَيَاةِ مَعَا

فأمر عبد الملك له ولجربير بعشرة آلاف درهم¹.

ولعل في هذه القصة ما يؤكد أن الشاعر لم يمدح أبناء الخلفاء إلا بحضرة آبائهم بل وأجدادهم الخلفاء، ما يؤكد أن عدياً لم يعيش أمداً طويلاً يبلغ به الربع الأول من القرن الهجري الثاني كما ورد في الموشح.

وثمة أمرٌ آخر يشار إليه في تضعيف رأي المرزباني له علاقة بشعر الشاعر، فلو أن ما قاله المرزباني كان صائباً لوجدنا أثراً في ديوانه الشعري لقصيدة مدح في أحد الخلفاء أو الولاة الذين تولوا الخلافة إثر موت عمر بن عبد العزيز، حيث يفصل بين وفاة عمر بن عبد العزيز وعديّ - حسب زعم المرزباني - خمس وعشرون سنة، وهذه الحقبة ليست قصيرة لتجعل الشاعر يُحجم عن مدح الأمويين، فقد قال الوليد بن عبد الملك إن عدياً مادحهم والرائي لأمواتهم².

وقول ثالث في تحديد وفاة عديّ ابن الرقاع لابن الشجري في حماسته يفيد بأن الشاعر توفي في سنة خمس وتسعين هجرية³، إلا أن هذا الخبر لا يعدو كونه خبراً يحتاج إلى دليل علمي كما ينبغي، ففي ديوان الشاعر ما يكفي لرد هذا القول، وإبعاده عن الصواب، فكل الأشعار التي نسبت لابن الرقاع ومدح عمر بن عبد العزيز تفند ما ذهب إليه ابن الشجري؛ وذلك لأن عمر بن عبد العزيز توفي بعد ست سنوات من السنة التي ذكرها ابن الشجري.

¹ الأصفهاني، الأغاني، 209/16.

² ينظر: الأصفهاني، م، ن، 308/9.

³ ينظر: ابن الشجري، الحماسة الشجرية، 681/2.

وهذه الأبيات -بغض النظر عن مناسبتها- تحمل في معانيها وقوع المسؤولية والأمانة عليه، وأعني بذلك توليه الخلافة، وهي بنفسها تؤكد أن عمر بن عبد العزيز ألقبت على عاتقه مسؤولية الخلافة، يقول عديّ ابن الرقاع¹:

البيسط

الحمْدُ للهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمْرُ فَقَدْ أَتَتْكَ بِنَا الْأَحْدَاثُ وَالْغَيْرُ
وَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَأَبْنُ سَيِّدِهَا وَالرُّأْسُ يُجْعَلُ فِيهَا السَّمْعُ وَالْبَصْرُ

من كل ما تقدم من حديث حول نسب الشاعر وقبيلته وولادته ووفاته نجد أن الاختلاف والغموض يلف كل هذه القضايا، والآراء التي أشرت إليها للمؤرخين والأدباء ليست جميعها، وإنما هي خلاصة لكل الآراء التي وقعت بين يدي فيما توفر من مصادر، وهي عبارة عن أهم ما قيل في هذه القضايا التي تخص الشاعر، فالراجح أن عديّ بن الرقاع توفي في خلافة عمر بن العزيز كما أسلفنا، أي في السنة الأولى بعد المائة الهجرية الأولى.

6. صفاته

الشاعر عديّ بن الرقاع شاعر إسلامي، والشعراء الإسلاميون عامة كالفرزدق وجريير والأخطل وكثير وجميل والراعي وذي الرمة ونصيب أعذب لغةً وأحسن ديباجة وأكثر طلاوة في شعرهم من شعراء الجاهلية، وأهم الأسباب في ذلك تعود إلى تأثرهم بالقرآن الكريم وحسن انسجامه وسمو أسلوبه، بالإضافة إلى ما انفسح أمامهم من ميادين الحياة الإسلامية المتمثلة في الدين والنظام السياسي الجديدين اللذين لم يكونا في الجاهلية².

أ. الإخلاص

انصف عديّ بن الرقاع بالإخلاص الذي تجلّى في موقفه من الدولة الأموية وخلفائها، وكان هواه مع بني أمية، يؤيد سياستهم ويمدح أحياءهم ويرثي موتاهم، ووقف شعره عليهم، ولم يكن

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 254.

² خليل مردم، الشعراء الشاميون، 31.

كشعراء عصره ينتهج النُّجعة بمدائحه من أجل التكتُّب؛ فديوانه الذي حوى تسعاً وعشرين قصيدةً كان لبني أمية عشرون منها، ولم يمدح من غير الخلفاء والأمراء إلا القليل.

وكان يفخر بما يفخر به فتیان العرب، وذلك على الرغم من أنه عاش في حاضرة دمشق ولم يعش في البوادي، حيث كان الفتى العربي الفارس المغوار يتغنى بالحب والشجاعة والفصاحة، فهو وإن كان رقيقاً يأنس إلى الحسنات ويحب ملاطفة النساء؛ إلا أنه لا يصل إلى درجة الخنوع والجبن، وإنما يدافع عن نفسه بسيفه وقلمه، يقول عديّ بن الرقاع¹:

الكامل

فلقد تبيت يدَ القنّاةِ وسادةً لي جاعلاً يُسرى يديَّ وسادها
وأصاحبُ الجيشِ العرمرمَ فارساً في الخيلِ أشهدُ كرهاً وطرادها
وقصيدةً قد بتُّ أجمعُ بينها حتى أقومَ ميلهاً وسنادها

ب. الوفاء

ومن مميزات شخصيته التي نقرأها في أشعاره أنه كان وفياً لأصدقائه، مخلصاً لهم في سرائهم وضرائهم، لا ينحرف عنهم بانحراف الزمان وتبدل السلطان، وتؤكد إحدى القصص التي رويت عنه هذه القضية، "فقد كان له صاحب يُدعى عبيدة بن عبد الرحمن وكان هذا الرجل والياً على الأردن، فعزله الوليد بن عبد الملك لعلّة فيه، وضربه ضرباً مبرحاً وموجعاً، ثم قال لمن يتولون أمره: "من أتى هذا الرجل فراه متوجعاً فأنتى عليه ولم يعاتبه أو يؤنبه فأتوني به، ولما دخل عليه عديّ بن الرقاع؛ وكانت العلاقة بينهما وطيدة، حيث كان هذا الوالي يحسن معاملة عديّ، وقف عليه عديّ وأنشأ يقول²:

الوافر

فَمَا عَزَلُوكَ مَسْبُوقاً وَلَكِنْ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَبَّاقاً جَوَاداً
وَكُنْتَ أَخِي وَمَا وَلَدْتُكَ أُمِّي وَصُولاً بَادِلاً لِي مُسْتَزَاداً

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 87.

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 252.

وما لبث أن ينتهي من قوله حتى وثب عليه الذين وكلهم الخليفة أمره وذهبوا به إلى الخليفة، وأخبروه بما جرى بينهما، فتغيّظ عليه الوليد، وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلتُ؟، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ محسناً، ولي مؤثراً، ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم، فعفا الخليفة عنه وعن صاحبه لما رآه من الود والصدقة الوفية بينهما¹.

ج. الصرّامة

وكان عديّ بن الرّقاع شديد الصرّامة، وسريع البديهة، وحاضر الجواب، لا يخجل في الرد على خصومه بما أوتي من قوة سيّما لسانه، فقد روي عنه "أنه كان في مجلس الوليد فدخل جرير عليهما، فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فمن هو؟ قال الوليد: هذا عديّ بن الرّقاع، فقال جرير: فشرُّ الثياب الرّقاع، فممن هو؟، قال الوليد: من عاملة، فقال جرير: أمن التي قال الله تعالى فيها: "عاملة ناصية * تصلى ناراً حامية"²، ثم قال:

الطويل

يُقصِرُ باعُ العامليِّ عن النّدى ولَكِنَّ... العامليِّ طویلُ

فما كان من عديّ الذي كان يتحلّى بالصبر والتأني، ويحترم مجالس الخلفاء، ويضفي عليها شيئاً من الجلال والوقار، إلا أنه ردّ عليه قائلاً:

الطويل

أأمك كانت أخبرتك بطولِهِ أم أنت أمرؤ لم تدر كيف تقولُ

فقال جرير: لا بل أدري كيف أقول، فخاف عديّ من أن يهجوّه جرير، فيصبح حديثه على ألسنة العرب، لذا فقد استتجد بالوليد الذي منع جريراً من أن يقول شيئاً يصرح فيه بهجائه لعديّ، وعلل ذلك بقوله إنه شاعرنا الذي يمدحنا ويرثي أمواتنا³.

¹ الأصفهاني، الأغاني، 313/9.

² الغاشية، 4-3/88.

³ الأصفهاني، م.س، 308/9.

د. كرم النفس

وعديّ بن الرقاع كريم النفس لا يرضى بالعطاء، إذا كان من ورائه ذلة النفس والتبعية لغيره بما لا يهواه، فهو يعتبر بيع نفسه بالمال بيعاً خاسراً¹:

البيسط

ولستُ مُحْتَلِباً نَفْسِي لِيَمْلِكَهَا رَبُّ عَلَيَّ وَشَرُّ الْبَيْعِ مَا خَسِرَا

هـ. العُجْبُ بالنفس

ومن أشعاره ما يدل على أنه كان كثير الإعجاب بنفسه فخوراً بها، فهو يرى أنه قد نال العلوم بفهمه ولا يحتاج إلى زيادة من أحد، ولا يسأل أحداً التعلم لأنه وصل مرحلة لا يحتاج فيها لأحد يزيد له في علمه وثقافته، ونتيجة لهذا التيه والتعالي سماه جرير بالمغرور، يقول ابن الرقاع²:

الكامل

وبقيت حتى ما أسألتُ واحداً عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أُزِدَّهَا

وقد ذكر جرير ذلك في قصيدة هجاه فيها دون أن يصرح بذلك اتقاءً لشر الوليد، الذي كان قد منعه من ذلك³، يقول جرير:

البيسط

إني إذا الشاعرُ المغرورُ جرّيني جارٍ لِقَبْرِ عَلِيٍّ مَرَّانٍ مَرْمُوسِ
أقصرُ فإنَّ نزاراً لن يُفَاخِرَهُمْ فَرَعٌ لَثِيمٌ وَأَصْلٌ غَيْرُ مَغْرُوسِ

و. الجَدُّ والصلابة

ومن هذه الخصال أنه كان جلدًا لا يتضعض لريب الدهر ويمتاز بالصلابة، يقول⁴:

البيسط

ونكبةٌ لو رمى الرَّامِي بها حَجْرًا أصمٌّ مِنْ جَنْدَلِ الصَّوَانِ لِانْصَدَعَا

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 188.

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 91.

³ الأصفهاني، الأغاني، 308/9.

⁴ عديّ بن الرقاع، م.س، 217. الجندل: الحجارة، (اللسان، مادة، جندل)، الصّوان: حجارة صلبة إذا مسته النار فقع تقيعاً وتشقق، وربما كان قداحاً تُقنَد حبه النار، (اللسان، مادة، صون).

أَتَتْ عَلِيَّ فَلَمْ أَتْرُكْ لَهَا سَلْبِي وَلَا اسْتَتَحْتُ لَهَا شَكْوَى وَلَا جَزَعَا

وفي موضع آخر يقول¹:

الكامل

لِيرَى الرَّجَالَ الْكَاشِحُونَ صَلَابَتِي وَأُعِينُ ذَاكَ بَعْفَةَ وَحَيَاءِ

ز. الصبر

ويصور نفسه بالكريم في البأساء وبالجواد عند النعيم والرخاء، يقول²:

الكامل

فَسَتَرْتُ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرَمٍ وَأَنْبَيْتُ فِي سِعَةِ النَّعِيمِ سَدَادَهَا

ح. العفة

ويصف نفسه بالعفيف، وأنه غير دنس الثياب ولا يحيطه الشك في أخلاقه الحميدة، ويريد بذلك أنه إنسان شريف يصون نفسه من الوقوع فيما لا يرضي الله، ولا يقترب المحرمات التي نهى الله عنها، إذ يقول³:

الكامل

وَأَنَا امْرُؤٌ مَنِيَّ الْعَفَافُ وَلَمْ أَكُنْ دَنَسَ الثِّيَابِ وَلَا مُرِيبَ الْمَدْخَلِ

7. شعره

عَدِيَّ بن الرِّقَاعِ شاعر إسلامي، ولد في حياة الدولة الأموية ومات فيها، فقد كان شاعر بني أمية المقدم، وكان مداحاً لهم -كما ذكر المؤرخون- لأنه أموي المذهب والسياسة والنزعة، ولم يُذكر له عملٌ سوى الشعر، وكانت الأحداث التي حدثت في عصر بني أمية باعثاً له على نظم

¹ عَدِيَّ بن الرِّقَاعِ، الديوان، 161. الكاشحون: مفرداها الكاشح وهو المتولَّى عنك بوذّه، (اللسان، مادة، كشح).

² عَدِيَّ بن الرِّقَاعِ، م.ن، 90.

³ عَدِيَّ بن الرِّقَاعِ، م.ن، 61.

الشعر، فمن المفروض أن يكون له شعر كثير يفوق ما وصل إلينا، ولكن الزمان لم يُبق لنا من شعره إلا مقداراً يسيراً مشتتاً في كتب اللغة والأدب والتاريخ¹.

وهناك دلائل واقعية وملموسة على أن شعر عديّ بن الرقاع قد تعرّض للضياع والاندثار، وأبرز هذه الأدلة ما صرح به محققا الديوان نوري القيسي وحاتم الضامن في مقدمة الديوان، وهو أن هذه النسخة اعترأها بعض التلف والنقص فقد وجدت مخرومة سقط مقداراً منها، حيث سقط منها ثلاث ورقات من وسطها وآخرها، حيث لا توجد بها الورقة العشرون، ولا الورقة الثانية بعد المائة، ولا الورقة الخامسة بعد المائة، وفيها اختلالٌ في الترتيب².

ومن جانب آخر، إذا قارنا شعر عديّ بن الرقاع بشعر شعراء بني أمية المقدمين كالأخطل وجريير وغيرهما وجدنا أن البون شاسع بين عديّ وبينهم، فعديّ كان شاعراً مقدماً عند بني أمية، مداحاً لهم، وعاصر خلفائهم وولاتهم، غير أننا نجد أن شعره موجّه في معظمه إلى الوليد بن عبد الملك وابنه عمر بن الوليد، إضافة إلى قصيدتين يمدح فيها عمر بن عبد العزيز، وأخرى في مدح سليمان بن عبد الملك³، وبعض الأمراء والولاة، ولكن الغريب هل كان ابن الرقاع ينتقي ممدوحيه انتقاءً، وإذا لم يكن كذلك؛ فأين بقية شعره في مدح غير من ذكروا من الأمويين؟

وثمة دليل آخر من الديوان نفسه، إذ نجد أن بعض قصائده جاءت تحت عنوان مدح الوليد بن عبد الملك، فنتفاجأ بأن القصيدة لم يُذكر فيها هذا الممدوح ولو بشرط بيت⁴، وفي نهاية الديوان ترد قصيدة في مدح مريّ بن ربيعة الكلبية⁵، ولم يرد أي بيت مديح فيها⁶.

¹ خليل مردم، الشعراء الشاميون، 29.

² ينظر: عديّ بن الرقاع، الديوان، 6.

³ سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي، ولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد (سنة 96 هجرية)، وكان بالرملة فلم يتخلف عن مبايعته أحد، وكان فصيحاً، طموحاً إلى الفتح، جهز جيشاً كبيراً وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وتوفي في مرج دابق بالشام، (سنة 99 هجرية). (ينظر ترجمته: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 5/ 111-113، وينظر: الزركلي، الأعلام، 3/103).

⁴ ينظر: عدي بن الرقاع، م.س، القصيدة السادسة، (96-107).

⁵ أحد أعيان الدولة الأموية، لم نعثر له على ترجمة.

⁶ ينظر: عدي بن الرقاع، م.س، القصيدة الثامنة والعشرين، (234-238).

وقضية مهمة أخرى وهي أن كثيراً من الأشعار نسبت لعديّ بن الرقاع في كثير من الكتب التاريخية والأدبية، ولكن لا أثر لها في الديوان كالمقطوعة الشعرية التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان في حربه ضد مُصعب بن الزُبَيْر، حيث فقد جزء منها وهو غير موجود في الديوان¹، ولكن بعض المؤرخين نسبوها له²، ونسبها بعضهم للبعيث اليشكري³، ونسبها صاحب الأغاني ليزيد بن الرقاع⁴.

أسباب ضياع شعره

لا شك أن كل ما تقدّم يدعونا إلى الوقوف على أسباب أغلب شعره، ومن خلال استقراءنا أهم أسباب ضياع الشعر بشكل عام؛ وربطها بضياع جزء من شعر عديّ بن الرقاع وجدنا أن ذلك ربما يعود للاعتماد في رواية الشعر على الحافظة دون التدوين، كون معظم الأشعار أشعاراً ارتجاليةً قيلت في المواقع وساحات الوغى، وكانت وليدة لحظتها وبنت ساعتها، ما أدى إلى عدم تدوينها فدفنتها الأيام.

فنتيجةً لذلك، ضاع نتاج شعري هائل من هذه الأشعار، ولا سيما شعر عديّ بن الرقاع، وخصوصاً تلك الأشعار التي قيلت في المعارك أو أثناء الغزوات، فقد شارك عديّ بن الرقاع عبد الملك بن مروان في كثيرٍ من غزواته وحروبه، لذا نجد أن شعره في عبد الملك ضئيلٌ جداً، قياساً بالفترة التي تلتها وهي خلافة الوليد بن عبد الملك، الذي يحظى بنحو عشر قصائد مطولة من الديوان الذي قوامه تسع وعشرون قصيدة ومقطوعة شعرية؛ وذلك لأن حبة الوليد كانت حبة رخاء وهدوء قياساً بفترة أبيه، الذي كان يواجه الزبيريين والشيعية والبيزنطيين، وهذا بدوره ينعكس على رواية الأدب وتدوينه.

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، ذيل الديوان، (232 - 233)، ونسبها في الديوان للوليد بن عبد الملك.

² البلاذري، أنساب الأشراف، 342/5.

³ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 160/6.

⁴ الأصفهاني، الأغاني، 126/16.

كما أن الحقة التي تفصلنا عن عَدِيّ ليست بالقصيرة وحملت في جعبتها الكثير من النكبات على الأمة الإسلامية، وهذا بالطبع كان له الأثر الكبير في فقدان هذه الوثائق التاريخية والأدبية، فقد تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام؛ والمكتبات بشكل خاص بالاضطرابات والحروب والثورات وتبدل الدول، وأخص بالذكر الثورة العباسية التي أرادت الانتقام من كل ما هو أموي، حتى الأشعار التي قالها مدّاحوهم، ذلك أنها أهم قضية في تاريخ الأمويين، والتي يجب أن تمحي كما أراد بنو العباس¹، ولربما طال هذا التبديل في أنظمة الحكم شعرَ عَدِيّ بن الرّقاع وديوانه، الذي كان ما يزال مخطوطاً في هذه المكتبات.

وعلى الرغم من أن شعر عَدِيّ بن الرّقاع المتوافر بين أيدينا قد لا يعطينا صورة واضحة وتامة عنه؛ إلا أننا يمكن أن نجعله نموذجاً يقاس عليه للتعرف على أحد الشعراء المنافحين عن الدولة الأموية بما أوتوا من قوة وبلاغة وفصاحة.

وعلى ما يبدو من نسخة الديوان التي بين أيدينا أن عَدِيّاً لم يجمع شعره في ديوان شعري كامل، بل جمع أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني (ت 291هـ) قصائده ومقطعاته وأبياته في القرن الثالث الهجري، وقدم لها وشرحها شرحاً مقتضياً بما يتناسب ولغة عصره والأساليب التي كانت متبعة آنذاك في جمع الدواوين والأشعار، وحاول أن يلتمس من خلال هذه الأبيات المناسبات التي قيلت فيها، سواء أكان بالاعتماد على أشعاره نفسها، أو بالعودة إلى بعض الأحداث التاريخية وحياة الخلفاء الأمويين وما دار في دور الخلافة وذكر عَدِيّ في إطار ذلك².

وقد حققت نسخة الديوان عام 1987م/1407هـ على يد كل من نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن، وطبعت في المجمع العلمي العراقي ببغداد، وذكر المحققان أن قوام نسخة الديوان هو مائة وثلاث ورقات من النوع القديم، وفي كل صفحة خمسة عشر سطراً من الخط النسخي³.

¹ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/333.

² ينظر: عَدِيّ بن الرّقاع، الديوان، المقدمة، 3-7.

³ ينظر: عَدِيّ بن الرّقاع، م، ن، 6.

وهذه النسخة كما يقول المحققان ليست التي كتبها ثعلب، والظن أنها مكتوبة في الشطر الأول من القرن الخامس الهجري، وقد ملك هذه النسخة جماعة قيدوا عليها أسماءهم، وكانت قبل ذلك من كتب دواوين ابن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وهو أخو السلطان الملك الأشرف عمر، ومجموع أبياتها ألف وثلاثة وتسعون بيتاً، في تسع وعشرين قصيدة¹، ويغلب على الديوان طابع المدح للأمويين، وهو سبب اختياري عنوان الدراسة، كما بينت في المقدمة.

وعدي بن الرقاع نظم في كثير من الأغراض والموضوعات كغيره من الشعراء، وتتنوع شعره بين أبيات منفردة ومقطعات قصيرة إلى قصائد طويلة، وأطول القصائد قصيدته الهمزية في مدح الوليد بن عبد الملك وقوامها تسعة وستون بيتاً شعرياً على البحر البسيط²، وأهم الأغراض التي نظم بها: غرض المديح، والوصف، والغزل، والفخر، كما أن له أبياتاً في الأدب، والحكمة، والتهنئة، والهجاء، ولم يرد فيما توافر لنا من أشعاره أي بيت يدل على الرثاء بالرغم من قول الوليد بن عبد الملك بأنه كان يرثي أمواتاً³.

ومن الخلفاء والأمراء الذين عاصروهم عدي بن الرقاع ومدحهم: عبد الملك بن مروان، وابناه الوليد وسليمان، وعمر بن عبد العزيز، وعمر بن الوليد، والأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، ومري بن ربيعة الكلبي⁴، وقد هنا بعضهم في بعض الأبيات، وله بعض الأبيات في الهجاء، ووقف على الأطلال ووصف الطعائن والناقة، وتغزل بالحسنات ووصف الخمر، كما أن له أبياتاً في وصف الطبيعة وما يعجبه مما هو حوله، وله أبيات تُعدُّ من أروع ما قيل في الأدب العربي، حيث وصف الغيث والبرق والغزلان وحمار الوحش.

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 7.

² ذكر تحسين محمد الصلاح أن أطول قصيدة نظمها الشاعر هي داليتة في مدح الوليد بن عبد الملك، ولكن الديوان يظهر أن هناك سبع قصائد أخرى تفوقها في عدد الأبيات، ولعل شهرة داليتة بين النقاد بسبب موضوعها جعلها المقدِّمة على غيرها في نفاستها ولكن ليس في عدد أبياتها.

³ الأصفهاني، الأغاني، 308/9.

⁴ ذكر في عنوان القصيدة الثامنة والعشرين أنها في مدح مري بن ربيعة الكلبي، ولم يرد أي بيت مديح فيها، (234-238).

الفصل الأول

حركة الشّعر السياسي حتى نهاية العصر الأموي

المبحث الأول: الحياة السياسية زمن الأمويين

أولاً: نشوء الخلافة والحزب الأموي حزباً سياسياً

ثانياً: الأحزاب السياسية الأخرى بين النشأة ومواجهة الأمويين

1. الخوارج

2. الشيعة

3. حزب الزبيريين

المبحث الثاني: الشّعر السياسي

أولاً: تعريف الشّعر السياسي وأغراضه وأصوله التاريخية

ثانياً: عوامل ظهور الشّعر السياسي وتطوره:

1. النفاق السياسي والنزاع على الحكم

2. الخصومات القبلية

3. التكبّب

الفصل الأول: حركة الشعر السياسي حتى نهاية العصر الأموي

المبحث الأول: الحياة السياسية زمن الأمويين

أولاً: نشوء الخلافة الأموية والحزب الأموي حزباً سياسياً

حكمت دولة بني أمية المسلمين أكثر من تسعين عاماً، وتعاقب على خلافتها في هذه المدة أربعة عشر خليفةً، وقد تعصب الشاعر عدي بن الرقاع العاملي لهذه الدولة، وكان مقدماً عند خلفائها وولاتها، وعاصر الشاعر سبعة من الخلفاء الأمويين.

ولأن الشاعر كان "مداحاً لبني أمية وراثياً لأمواتهم"¹، كما صرح الوليد بن عبد الملك² في مجلس الخلافة، كان لا بدّ من التعريج على الأصول التاريخية لبني أمية قبل الإسلام، ومن ثمّ الوقوف على نشأة الحزب الأموي حزباً سياسياً في العصر الإسلامي، ووصولهم إلى الخلافة في أواسط القرن الهجري الأول، مروراً بالأحزاب السياسية الكبرى في مواجهة الأمويين وسياستهم.

ينتمي الأمويون إلى عبد شمس، فهم والهاشميون أبناء عمومة، إذ ينحدرون جميعاً من عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، وفي نهاية العصر الجاهلي - قبيل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - استحكمت المنافسة بينهما على الرئاسة والنباهة، إذ سابق الأمويون الهاشميين في تجارة بلاد الشام، ونجحوا في استخلاصها منهم، وغالبوهم على تجارة اليمن والعراق، فأصبحوا يمتلكون أموالاً طائلةً صيرتهم من أغنى رجال قريش، وجعلتهم سادةً في مكة يحكمون ويرسمون³، كما امتدت

¹ الأصفهاني، الأغاني، 301/9، وينظر: ابن سلام، طبقات الشعراء، 89.

² الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية بدمشق، ببيع بعهد من أبيه، غزا الروم مرات في دولة أبيه، توفي (سنة 96 هجرية)، (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 347/4-348).

³ حسين عطوان، شعراء الدولتين، 21.

المنافسة بينهم إلى وظائف مكة، التي كانت تتمثل ذروتها في عنايتهم بالبيت العتيق وصدانة الكعبة المشرفة، فكانت السقاية لبني هاشم، واللواء (إطار قبلي سياسي) لبني أمية¹.
على هذا النحو أضحت الأسرتان القرشيتان، فالأمويون أهل حصافةٍ وتدبيرٍ، والهاشميون رجال الخير والقوة، مع قلة رجال الهاشميين وغناهم، وكثرة أبناء الأمويين وفقرهم²، يقول الشاعر عديّ بن الرقاع في مدح أحد خلفاء بني أمية³:

البيسط

حَتَّى احْتَبَى بِمَكَانٍ تَسْتَقِيدُ لَهُ عَمَاعِمُ الْعَرَبِ الْمَذْكُورَةَ الْعُظْمُ
كَانَتْ لِأَبَائِهِمْ مَذْكُورَةً زَحْمُوا عَنْهَا قُرُومٌ قُرَيْشٍ سَاعَةً اَزْدَحَمُوا

ولما جاء الإسلام رأى بنو أمية في بعث محمد -صلى الله عليه وسلم- زيادةً في شرف الهاشميين وفخراً يتباهون به أمام بني عمومتهم الأمويين، وسلطاناً دينياً وسياسياً يضاف إلى مجدهم الديني والاجتماعي الموروث من الجاهلية⁴.

ولم يرق هذا الأمر لبني أمية، فكانوا أول الجاحدين بالدين الجديد، وأنكروا دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم- لتوحيد الخالق -عز وجل- وكان هذا الإنكار دافعه العصبية والتعالي والكبرياء، وما هذه الدعوى الباطلة - كما يرون - التي تجعل بني أمية وسادة قريش ينزلون عن عرشهم، ويصبحون تابعين مؤتمرين ببني هاشم، فبادروا بالتصدي للمسلمين وبالتعرض لهم بكل صنوف الإيذاء والعذاب.

صمد الهاشميون المسلمون ومن معهم من الصحابة، والتفوا حول رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي مضى -والمهاجرون والأنصار معه- في توحيد العرب، ونبذ العصبية القبلية المقيتة، على الرغم من الصعوبات التي واجهوها في سبيل تحقيق هدفهم في نشر الإسلام، فقد كان بنو أمية على رأس الحربة في أهم الوقائع بين المسلمين والكافرين، خاصة معركة بدر الكبرى وأحد.

¹ حسين عطوان، م.ن، 21.

² أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 287.

³ عديّ بن الرقاع، الديوان، 119. أخذ هذان البيتان من القصيدة الثامنة من الديوان في مدح الوليد بن عبد الملك. قروم: مفردها القرم، وتعني السيد المعظم، (اللسان، مادة، قَرم).

⁴ حسين عطوان، شعراء الدولتين، 21.

وبعد فتح مكة يذعن الأمويون وعلى رأسهم زعيمهم أبو سفيان لحكم الإسلام وتعاليمه، ويعفون الرسول -عليه الصلاة والسلام- عنه، "فتصبح الأمة العربية شعباً مؤتلفاً لا عصبية فيه إلا عصبية الدين، وهاتان الأُسرتان -الهاشمية والأموية- غلبت عليهما الأخوة الإسلامية، وإن شعر الهاشميون حتماً بشرف النبوة فيهم دون سواهم من قريش ومن العرب ومن الناس جميعاً"¹.

ويعود الخلاف بين المسلمين بعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام-، إلى العامل السياسي، "حيث تركّز في موضوع الخلافة وأصول الحكم، وما كانت حروب الردّة ومانعو الزكاة إلا بدافع عدم الانصياع لأبي بكرٍ وسلطته، فتلك العصبية ما زالت آثارها عالقة في النفوس، لا سيما أولئك الذين لم يمضِ على دخولهم الإسلام أشهرٌ معدودة"².

من هنا نرى أن كثيراً من القبائل التي دخلت في الإسلام ظنّت في أول الأمر "أن الإسلام ليس إلا مجرد عقيدة آمنوا بها والتقوا حولها في حياة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأنهم في حلٍّ بعد وفاته ليعودوا إلى سيرتهم القبلية الأولى، ولم يدركوا أن الإسلام عقيدةٌ ونظامٌ اجتماعيٌّ وسياسيٌّ معاً"³.

كان اختيار الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان من نصيب الأمويين، حيث انتظروا هذه الفرصة على مضض، الأمر الذي حرّك المنافسة بين المسلمين، فقد أشعل توليه الخلافة الفتنة بين صفوف المسلمين، ما أدى إلى مقتله فيما بعد⁴.

وبتولي عثمان الخلافة استأثر الأمويون بالحكم، سواء أكان ذلك متمثلاً في الخلافة إذ كان الخليفة من صلبهم، أم في الولايات في الأقاليم والإمارات حيث كان معظم الإداريين الذين عينهم

¹ أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 288.

² محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، 75.

³ عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، 276.

⁴ حسين عطوان، شعراء الدولتين، 22.

عثمان من الأمويين، وعزل الذين عينهم عمر بن الخطاب، وهذا الأمر بثّ البهجة في نفوس الأمويين، بعد أن تضجروا من خلافة أبي بكرٍ وعمر¹.

ولما قتل عثمان؛ وخشي بنو أمية أن يخرج الأمر من أيديهم إلى بني هاشم؛ استغلوا مقتله للإبقاء على الملك الإسلامي، فقال في ذلك الوليد بن عقبة² أخو عثمان لأمه³:

الطويل

بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ وَلَا تَتَهَبُّوهُ لَا تَحُلْ مَنَاهِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ لَا تَعَجَّلُوا بِإِقَادَةِ سَوَاءً عَلَيْنَا قَاتِلُوهُ وَسَالِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّعَاقُدُ بَيْنَنَا وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَتَجَانِبُهُ

وهنا قام معاوية في الشام يزاحم علياً على الخلافة محتجاً بأنه وليُّ ثارِ عثمان ووارثه، وأن علياً فرط في حقه، ويثور الأمويون في مكة، ويدفعون عائشة إلى وقعة الجمل⁴، ويعتصم عليٌّ بالعراق، ويُرى معاوية تائراً دعياً، وتحدث معركة صفين⁵ بينهما، ويكون التحكيم ويستغله معاوية لصالحه، ويخرج الناس من صفينَ أحزاباً ثلاثة: شيعة، وخوارج، وأمويين، ومن ثم يقتل عليّ، ويتنازل الحسن بن علي لمعاوية، ويتم الأمر لمعاوية، ويستقر الملك في بني أمية⁶.

¹ محمد عمارة، م.س، 101.

² الوليد بن عُقبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ أَخُو عُثْمَانَ بن عَفَّانَ لأمه، قتل أبوه بعد بدر، وأسلم الوليد وأخوه عمارة يوم فتح مكة، تولى الكوفة لعثمان بن عفان بعد سعيد ابن أبي وقاص، ثم عزله عثمان عنها بعد أن أقيمت عليه البيعة بشرب الخمر، وأقام عليه الحد، وبعد مقتل عثمان اعتزل الفتنة، ومات في خلافة معاوية (ابن حجر العسقلاني، الإصابة: 6/614-617).

³ الأصفهاني، الأغاني، 122/5.

⁴ موقعة الجمل هي معركة وقعت في البصرة (سنة 36 هجرية)، بين قوات أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب والجيش الذي يقوده الصحابيُّان طلحة بن عبيد الله والزيبر بن العوام، إضافة إلى أم المؤمنين عائشة التي قيل إنها ذهبت مع جيش المدينة في هودج من حديد على ظهر جمل، وسميت المعركة بالجمل نسبة إلى هذا الجمل.

⁵ موقعة صفين هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان (سنة 37 هجرية)، بعد موقعة الجمل بسنة تقريباً.

⁶ أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 290.

كانت خلافة معاوية نقطة تحول في تاريخ الحكم الإسلامي، بها أنشئ أول ملك وراثي في الإسلام، واستمر ما يربو على تسعين عاماً، وكان معاوية من الذكاء والدهاء بحيث ثبتت أركان الدولة الأموية، وشرح للخلفاء من بعده القواعد السياسية التي يسبغون عليها، فقد قرّر مبدأ ولاية العهد بأخذه البيعة لابنه يزيد، فحوّل الإمامة إلى مُلكٍ، والخلافة إلى منصبٍ، وعمل من خلال هذا التغيير على تحويل نظام الحكم الإسلامي من شوري ديمقراطيٍّ، إلى ملكي استبداديٍّ، في بني سفيان أولاً ثم في بني مروان ثانياً¹، يقول عديّ بن الرقاع²:

الطويل

ثَلَاثَةٌ أَبَاءٍ لَهُ كُلُّهُمْ بَنَى تماماً ومُلكاً ثمَّ لَمْ يَتَصَرَّمْ
مُلُوكٌ يَرَوْنَ العَدْلَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حِسانُ الوُجُوهِ يَهْتَدِي بِهِم العَمِي

وكان التغيير الذي أحدثه معاوية سبباً في خلق حزب سياسي رابع هو حزب الزبيريين، الذي انطلق دعاته من مبدأ رفضهم فكرة التوريث في الحكم³، لما فيه من مخالفةٍ للسنة النبوية الشريفة، مضافاً لغيرهم من الأحزاب الأخرى التي وقفت في الصفّ المواجه للأمويين.

وبنو أمية بما قام به معاوية خلقوا فتنة سياسية بين مفكري الأمة وعوامها، الذين أجمع عدد وافراً منهم على مناهضة هذا الانقلاب السياسي، إلا من له منفعة من مؤيدي الدولة الأموية وشعرائها، وفتح هذا التحول باب العصبية القبلية على مصراعيه، وتنقسم الأمة إلى مضرية ويمينية، ونزارية وقحطانية، وتعمّ هذه العصبية أطراف الدولة من أقصاها إلى أقصاها⁴.

وأراد الحزب الأموي القول "إنهم الأصلح للحكم، وأقوم الناس بأعبائه، ومعهم كثرةٌ تؤيدهم، وإنهم أصحاب مجدٍ قديمٍ يوازي مجد الهاشميين، ولم يكن حكمهم على أصل ديني، بل رأهم الناس

¹ مصطفى الشكعة، رحلة الشعر، 19.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 135، هذه الأبيات من القصيدة العاشرة في الديوان يمدح فيها عمر بن عبد العزيز.

³ شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 290.

⁴ مصطفى الشكعة، م.س، 20.

سياسيين طلاب دنيا ومُلك، تبرر غايتهم كل وسيلة، فاعتمدوا على قوة السيف والمال والعقل في تأييد عرشهم، فكان الناس يجنحون إليهم طمعاً في مالهم، أو خوفاً من بأسهم¹.

ثانياً: الأحزاب السياسية الأخرى بين النشأة ومواجهة الأمويين

تطورت الأحداث في عهد علي بن أبي طالب، ولعب الأمويون دوراً مهماً في تصاعد الأحداث وزيادة حدتها، هذا الأمر كان مدعاة لنشوء أحزابٍ أخرى إلى جانب الحزب الأموي، وفيما يأتي موجزٌ عن هذه الأحزاب السياسية:

1. الخوارج

لم ترق قصة التحكيم لبعض الصحابة والقراء، وهذا الأمر أدى إلى خروجهم على عليٍّ وعلى معاوية معاً، وطالبوا بهدر دميتهما، ووصل بهم الأمر إلى قتل الخليفة علي بن أبي طالب، وكان دستورهم ينطلق من مبدأ المساواة بين المسلمين، وأن إمارة المسلمين وإمامتهم ليست مشروطة بشرط، ولا مقصورةً على أسرةٍ بعينها دون غيرها، كما يدّعي أصحاب الشيع الأخرى².

وقد وسّع الخوارج أوج الأحقية في الخلافة لتشمل كلَّ مسلم تنطبق عليه شروط الإمامة، إذا ما كان أهلاً للنهوض بأعبائها، بينما قصر الشيعة الأحقية على بيت علي، والزبيريون على قريش، والأمويون على بني أمية³.

ويسجّل السبق للخوارج في الاحتفال بالشعر بليغاً قوياً مؤثراً كسلاح باترٍ قاطعٍ مثيرٍ للهمم في خضم المعركة، وقد جاء شعرهم مصوراً لفكرهم السياسي ووجهة نظرهم، ومن أبرز شعرائهم:

¹ ينظر: أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 294 - 295.

² مصطفى الشكعة، رحلة الشعر، 65/1.

³ أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 225.

عمران بن حطّان، وقطري بن الفجاءة، والطرماح بن حكيم، وكان نشيدهم الذي يردّدونه في المعركة الحربية، وفي المناضلة السلمية قول أبرز شعرائهم عمّان بن حطّان¹:

الطويل

وَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللّٰهُ رَبُّنَا وَأَوْلَىٰ عِبَادِ اللّٰهِ بِاللّٰهِ مَنْ شَكَرَ

اتصف الخوارج بالشجاعة المطلقة في خوضهم غمار الحرب انطلاقاً من إيمانهم العميق، ويروى في شجاعتهم أن أربعين رجلاً منهم استطاعوا بإيمانهم وثباتهم على عقيدتهم أن ينتصروا على ألفين من جنود الخلافة وفرسانها، في منطقة يقال لها آسك²، يقول عيسى بن فاتك³:

الوافر

أَلْفَا مُؤْمِنٍ فِيْمَا زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِآسِكِ أَرْبَعُونَ
كَذِبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمُ الْفَتَاةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفَتَاةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ

والخوارج يتحاشون الموت على الفراش، وينشدون الاستشهاد في ساحة القتال، وقد صور شاعرهم عمّان بن حطّان هذا الأمر حين تحدث عن استشهاد رفيق دربه أبي بلال⁴:

¹ الأصفهاني، الأغاني، 114/18. عمّان بن حطّان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سيماك، رأس الصُفْرية، وخطيبهم وشاعرهم، كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث من أهل البصرة، طلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك بن مروان فرحل إلى عُمان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه فلجأ إلى قوم من الأزد، فمات عندهم (سنة 84 هجرية). (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 213-214/4، والزركلي، الأعلام، 70/5).

² مصطفى الشكعة، رحلة الشعر، 66/1. آسك موضع في العرق.

³ عيسى بن جرير بن فاتك الحيطي، أحد شعراء الخوارج، سماه المُرد عيسى بن فاتك، وكذلك هو في الوحشيات وشرح النهج، ونسب مرة إلى الخطي وأخرى الحيطي، وقال البلاذري: هو عيسى بن جرير أحد بني ربيعة فهو من بني تميم اللات بن ثعلبة، كان من أصحاب نافع بن الأزرق، وقتل بعد خروج الأزارقة وله شعر كثير. (ينظر الأبيات: إحسان عباس، شعر الخوارج، 54).

⁴ إحسان عباس، شعر الخوارج، 2/1. أبو بلال هو مرداس بن حدير، ويكنى بأبي بلال، وسمي مرداس بن أدية نسبة إلى أدية أمه أو جدته، وقد شهد معركة صفين مع الإمام علي هو وأخوه عروة وفارقه مع أهل النهروان بعد التحكيم، وكان من العدد القليل الذين نجوا من القتل في معركة النهروان.

الوافر

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بُغْضًا وَحَبًّا فِي الْخُرُوجِ أَبُو بِلَالٍ
أَحَازِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَا الْعَوَالِي
وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنَّ حَنَفِي كَحَتَفِ أَبِي بِلَالٍ لَمْ أُبَالِ

ويبقى شعر الخوارج ثائراً حماسياً صادق العاطفة، يستصغر شعراؤه الدنيا، ويتعطشون للموت، ولا يندبون قتلاهم ولا يرثونهم بالصورة التي نجدها عند شعراء الفرق الأخرى، إضافة إلى تأثرهم الكبير بالقرآن الكريم في أشعارهم.

2. الشيعة

الشيعة أو المنتشعة بمعنى آخر تعني التعصب لمذهب أو شخص معين، فالمنتشعة هم أنصار آل البيت الهاشمي، وهم الذين رأوا في علي بن أبي طالب النموذج المثالي ليكون خليفة للمسلمين من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم - وساندتهم في هذا الأمر أبناء عمهم الأمويون بالرغم من المنافسة الشديدة بينهم في الجاهلية والإسلام¹، فقد روي عن أبي سفيان قوله²:

الطويل

بني هاشمٍ لا تطمَعُوا النَّاسَ فِيكُمْ وَلَا سِيَّما تَيْمٌ بن مرةٍ أو عَدِيٍّ
فما الأمرُ إلا فيكمُ وإليكمُ وليسَ لها إلا أبو حَسَنِ عَلِيٍّ

إلا أن النتائج لم تأت كما كانوا يطمحون؛ فتحوّلت الخلافة إلى أبي بكر ومن بعده عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، إلى أن تولى علي الخلافة بعد مقتل عثمان، وفي هذه الفترة لم تكن درجة التشيع لعلي وآل بيته وصلت إلى أوجها.

ويعدُّ مقتل عليّ وتسلم معاوية مقاليد السلطة البداية الحقيقية لظهور الحزب الشيعي المتعصب لعليّ وآل بيته، فقد بدأ التشيع ينمو في حاضرة الكوفة التي اتخذها عليّ مقراً لخلافته، ومضى كثير

¹ أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 233.

² ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 72/2.

من أهلها بعد وفاته يؤمنون بأن أبناءه وأحفاده هم أهل الخلافة الحقيقيون وأصحابه الشرعيون، وبأن الأمويين اغتصبوها منهم بقوة السيف، ويجب على المسلمين أن يستردّوها منهم¹.

وقد برز في هذا الحزب شعراءٌ كثيرٌ صوروا وجهته السياسية والدينية، ومن أشهرهم كُنُيرُ عزة والكميت الأسديّ وأبو الأسود الدؤليّ، وانقسم الشيعة -كما الخوارج- إلى أحزابٍ أهمها فرقتا الكيسانية والزيدية، والأولى أشدّ تطرفاً في أفكارها وعقائدها من الثانية، وتلتقيان في أحقية البيت الهاشمي بالخلافة².

وإذا وقفنا على شعر المتشعبة لعليّ وآل البيت النبوي نجد أن شعراءهم استطاعوا نقل أفكارهم بصورة جلية مدافعين عنها بكل ما أوتوا من قوة، يقول كُنُيرُ³:

الوافر

وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سِوَاءِ	أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ فُرَيْشٍ
هُمُ الْأَسْبَابُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ	عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ
وَسِبْطُ غَيْبَتِهِ كَرْبَلَاءُ	فَسِبْطُ سِبْطِ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ
يَقُودُ الْخَيْلَ يَفْدُمُهَا اللَّوَاءُ	وَسِبْطُ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ حَتَّى

ويتميز شعر الشيعة عن غيره من الأشعار بكثرة البكاء والعيول على أئمتهم الذين سفك الأمويون دماءهم، ولا سيما الحسين بن عليّ الذي قتله الأمويون في كربلاء، وذلك بعد أن اتفق مع ابن الزبير على إعلان الخلافة، والثورة على الأمويين، فجلُّ شعرهم دموعٌ وبكاءٌ وزفّراتٌ على الحسين وأهله وصحبه، ولم يكونوا يرثون قادتهم فقط؛ بل كانوا يضيفون إلى بكائهم تحريضاً على الأخذ بالنار⁴، يقول أحد شعرائهم وهو سُلَيْمَانُ بْنُ قَتَّةَ⁵ في رثاء الحسين بن عليّ بن أبي طالب⁶:

¹ شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 315.

² شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 315.

³ الأصفهاني، الأغاني، 14/9-15.

⁴ شوقي ضيف، م.س، 315-316.

⁵ سليمان بن قَتَّةَ العدويّ التيمي، مولى تميم بن مُرّة، نسب لأمه قَتَّةَ، من فحول الشعراء، كان منقطعاً لبني هاشم، توفي بدمشق سنة 126. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 596).

⁶ المبرد، الكامل في الأدب، 131/1.

الطويل

مررتُ على أبياتِ آلِ مُحَمَّدٍ
وكانوا رجاءً ثم صاروا رزيةً
ألم تر أن الشمسَ أضحتَ مريضةً
وقد أعولتُ تبكي السماءُ لفقدهِ
فلم أرها كعهدها يومَ حلتِ
وقد عظمتُ تلكَ الرزايا وجلتِ
لقد حُسينَ والبلادُ اقشعرتِ
وأنجمها ناحتَ عليه وصلتِ

3. حزب الزبيريين

رفض جماعة من المسلمين فكرة التوريث في الحكم، وكان على رأس هذه الفرقة عبد الله بن الزبير¹ والحسين بن علي، حيث عارضوا فكرة استئثار الأمويين بالحكم، وجعل الخلافة وراثية في بني أمية، وتطورت هذه الفرقة؛ التي تتكون من مجموعة من كبار الصحابة وأبنائهم، حتى صارت حزباً سياسياً يدعو إلى عدم الانصياع لحكم الأمويين، ثم مبايعة ابن الزبير بالخلافة في مدن الحجاز².

ويرى الزبيريون أن الخلافة لقريش عامة دون الهاشميين كما أراد أصحاب علي، ودون الأمويين كما أراد بنو أمية³، وقد شكّلت هذه الفرقة خطراً كبيراً على بني أمية لامتداد نفوذها وازدياد أتباعها.

هذا الأمر جعل الأمويين يقفون لها بالمرصاد، حيث أرسل لها الخليفة يزيد بن معاوية¹ جيشاً ليؤدبهم في المدينة ومكة، وتلاقوا في الموقعة التي سميت بالحرّة²، ثم استمرت المنازعات بين الأمويين والزبيريين في عهد عبد الملك بن مروان³.

¹ عبد الله بن الزبير بن العوام القرشيّ الأسديّ، أبو بكر، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح إفريقية زمن عثمان بن عفان، وبويع بالخلافة (سنة 64 هجرية)، بعد موت يزيد بن معاوية، وكانت له مع الأمويين وقائع، حتى سيروا له الحجاج الثقفي في أيام عبد الملك بن مروان، وقُتل على يديه سنة 73 هجرية. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 363/3-380، والزركلي، الأعلام، 87/4).

² شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 290 - 300.

³ أحمد الشايب، الشعر السياسي، 255.

ومن أبرز شعراء هذا الحزب السياسي الشاعر عبّيد الله بن قيس الرقيات⁴، بل هو شاعر الزبيريين المقدم، إذ لا نجد شاعراً يوازيه في إخلاصه لحزبه ومدافعتة عنه⁵، يقول في ذلك⁶:

مجزوء الكامل

إِنَّ الْحَوَادِثَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ أَوْجَعَنِي وَقَرَعَنَ مَرَوَيْتَهُ
يَنْعَى بَنِي عَبْدِ وَإِخْوَتَهُمْ حَلَّ الْهَلَاكُ عَلَى أَقَارِبِيهِ
تَبْكِي لَهُمْ أَسْمَاءُ مَعُولَةً وَتَقُولُ لَيْلَى وَارزَيْتِيهِ

ومن هذا الإيجاز التاريخي لنشأة الأحزاب المعادية للأمويين نرى أن أفكار المسلمين وعواطفهم وتوجهاتهم أصبحت تتناوبها أحزابٌ سياسية أربعة، كل حزبٍ يمثّل مبادئٍ ومنهاجاً رأى أنه الصواب، وأن غيره بجانبه، وفي خضم هذا الصراع وقف الشاعر العربي مصوراً تلك الأحداث، بل مشاركاً في صنعها.

¹ يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان الأموي القرشي، ولد (سنة 26 هجرية) في خلافة عثمان بن عفان، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية، تولى الخلافة بعد وفاة والده (سنة 60 هجرية)، دامت خلافته أربع سنوات، توفي (سنة 64 هجرية). (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4/35-409، وينظر: الزركلي، الأعلام، 8/189).

² وقعة الحرّة كانت (سنة 63 هجرية)، وكان أهل المدينة قد ثاروا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، فأرسل لهم جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة، فدخل المدينة وأنهى الثورة بها. والحرّة هي أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار، وتنتشر في عدة أماكن منها قرب المدينة. ولكل واحدة من هذه الحرّات اسمها الخاص.

³ شوقي ضيف، م.س، 290-300.

⁴ عبّيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن قيس الرقيات (توفي سنة 85 هجرية) هو شاعر قريش في العصر الأموي، من بني عامر بن لؤي، سمي قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نساء اسم كل واحدة منهن رقية، كان مقيماً في المدينة، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. (ينظر ترجمته: الأصفهاني، الأغاني، 4/492، والزركلي، الأعلام: 4/196).

⁵ شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 290-30.

⁶ عبّيد الله بن قيس الرقيات، الديوان، 97-98.

المبحث الثاني: الشعر السياسي

أولاً: تعريف الشعر السياسي وأصوله التاريخية وأغراضه

عمد بعض الدارسين إلى تعريف الشعر السياسي بأنه فن الكلام الذي يتصل بنظام الدول الداخلي، أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدول¹. وبعضهم الآخر قال إنه الشعر الموجه نحو هدف واحد وهو السياسة، ويصل الشاعر إليه من خلال أغراض متعددة قد تكون مدحاً أو هجاءً أو رثاءً أو وصفاً أو ما إلى ذلك².

ارتبط الشعر العربي برؤية الشاعر السياسية منذ العصر الجاهلي، فالقبيلة العربية هي الصورة المصغرة للدولة، والشاعر لسان حال هذه القبيلة، ومن ثمَّ كان شعره يتصل بمواقف هذه القبيلة احتجاجاً عليها أو تأييداً لها. ويفسر ذلك احتفال العرب بالشاعر أكثر من احتفالها بالكاتب، فالشاعر هو الذي يرفع مكانتها بين القبائل الأخرى³.

ولكن الشعر السياسي اتخذ غرضاً شعرياً قائماً بذاته مع بداية الدولة الأموية، حين انقسم المسلمون عقب معركة صفين إلى طوائف وأحزاب أهمها الخوارج والشيعة والزيبريون والأمويون، ومن هذا التاريخ، أصبح لهذه الأحزاب السياسية شعراء يتحدثون عن مبادئها وتوجهاتها، فتحوّل الشعر إلى إطار سياسي تحكمه أهداف ومناهج، ويقوم على نظرية محددة المبادئ في الحكم وتأييد الحزب الذي يرفع الشاعر رأيه ويدعو له، وهذا الشعر لم يكن دعوة سياسية قائمة على البرهان والحوار العقلي فقط؛ ولكنه يفصح عن مشاعر صادقة نتيجة انتماء الشاعر لهذا الحزب أو ذاك⁴.

وهذا النوع من الشعر يكون حماسياً قوياً مؤثراً لا سيما إذا كان عن عقيدة واقتناع، وهذه الحماسة والاندفاع يبرزان من كون الشعر معبراً عن العواطف الصادقة في سبيل الحرية والسيادة،

¹ أحمد الشايب، الشعر السياسي، 4.

² حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، 267/1.

³ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 111/17.

⁴ جواد علي، م، ن، 111/17.

وتكون من أبرز سماته مهما اختلفت أغراضه والموقف الذي قيل فيه، فالشعر الذي يقال في ساحة الوعى يكون ارتجالياً وتغلب عليه عاطفة الحماسة.

وفي عصر صدر الإسلام برز هذا الشعر ما بعد الهجرة النبوية وبعد تكوين الدولة الإسلامية، فمن هذه النقطة تغير وضع الشعر السياسي من شعر ذي صبغة قبلية وصراع عائلي، إلى شعر متمحور حول قضية مهمة في الإسلام وهي العقيدة، "فغدا الشاعر المسلم يفتخر بالإسلام ويدعو إليه ويذم جاهليته من جهة، ومن جهة أخرى؛ يهجو خصومه الكفار والمشركين ويدعو لقتالهم، فيبرز شعراء المسلمين من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريّ وعبد الله بن رواحة وغيرهم ليعبروا عن هذه المعاني الصادقة أروع تعبير، بعيدين كل البعد عن شعرهم الجاهليّ الضيق، إلى المعاني الإسلامية السامية والدفاع عنها"¹، يقول الشاعر الحصين بن حمام في ذلك²:

المتقارب

وَيَوْمَ تَسْعَرُ فِيهِ الْحُرُوبُ	لَيْسَتْ إِلَى الرَّوْعِ سِرْبًا لَهَا
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْمُخْزِيَا	تِ يَوْمَ تَرَى النَّفْسُ أَعْمَالَهَا
وَوَخَفَ الْمَوَازِينُ بِالْكَافِرِينَ	وَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا

وفي المقابل؛ "يظهر الشاعر الجاهلي الذي ما يزال يمتطي صهوة القبيلة في شعره، فيرى في الإسلام قبيلةً جديدةً يريد النيل منها بلسانه قبل سيفه، فيدعو إلى استئصال العقيدة الإسلامية والعودة إلى الجاهلية الأولى، وهذا الشاعر ما يزال يتمسك بانتمائه لقبيلته، وما يفتأ يفخر بمآثرها، داعياً إلى البقاء على دين الآباء والأجداد، متهماً دعاة الدين الجديد وأتباعه بالجنون تارة، وبالسحر تارة أخرى،

¹ شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 68-71.

² الأصفهاني، الأغاني، 15/14. والشاعر الحصين بن حَمَامِ بن رَبِيعَةَ المُرِّيّ الذُبَيْانيّ، أبو يزيد، شاعر فارس جاهلي كان سيد بني سَهْمَ بن مُرَّة (من ذُبَيان)، ويلقب (مانع الضيم)، في شعره حكمة، وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، اختلف في وقت وفاته، فقيل إنه مات قبيل ظهور الإسلام، وقيل إنه أدرك الإسلام. (10 ق. الهجرة)، (ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 262/3).

ويتميز هؤلاء الشعراء بهجومهم العنيف على الإسلام والمسلمين¹، يقول عبد الله بن الزبير² بعد معركة أُحُد³:

الرمل

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدْرِ شَهْدُوا ضَجَرَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ
حَيْنَ أَلْقَتْ بِقُبَاءٍ بَرَكَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلُ
فَقَبَلْنَا النَّصْفَ مِنْ سَادَتِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَاَعْتَدَلْ

شهد الشعر السياسي فترة ركود وهدوء في الفترة الممتدة من أخريات عمر الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - وحتى وقوع الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وتركز في هذه الفترة على الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، فأصبح الشعر السياسي مواكباً للأحداث وموجهاً لوصف المعارك وامتداح القادة وانتصاراتهم فجاء شعراً سياسياً في أروع صورته⁴، يقول حسان بن ثابت في ذلك⁵:

البيسط

فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ نَتَّبَعُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ وَنَصْرٍ غَيْرِ مَحْدُودِ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ رِكَابٍ لَمَّا قَطَعُوا إِذَا الْكُمَاةُ تَحَامَوْا فِي الصَّنَادِيدِ

ومع أن شعر الفتوحات الإسلامية تميز بالفخر بقوة الجيش الإسلامي والبعد عن العصبية القبلية الضيقة؛ "إلا أن عصبية الشاعر وفخره بقومه كانا يراودانه بين لحظة وأخرى، فعند تقارع

¹ شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 47 - 48.

² عبد الله بن الزبير السهمي القرشي (ت 15 هجرية)، وأمه عاتكة الجُمَحِيَّة بنت عبد الله بن عمير، شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال حسان فيه أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر له بحلته. (ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 4/87).

³ الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، 200.

⁴ شوقي ضيف، العصر الجاهلي، 62.

⁵ حسان، الديوان، 242. مفردتها الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمي نفسه، أي سترها بالدرع والبيضة، (اللسان، مادة، كمي)، الصناديد: الشدائد من الأمور والدواهي، (اللسان، مادة، صند).

السيوف يتذكر البلاء في أيام العرب"¹، ومما يمثل ذلك قول أبي محجن الثقفي² في معركة القادسية مفتخراً ببلاء ثقيف³، حين قال⁴:

الوافر

لَقَدْ عَلِمْتَ ثَقَيْفٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأْنَا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سِيُوفَا
فَإِنْ أَحْبَسَ فَقَدْ عَرَفُوا بِلَاتِي وَإِنْ أَطْلَقَ أُجْرَعَهُمْ حُنُوفَا

ولم يكن العرب ليستطيعوا أن يخلصوا فجأة من ذلك الامتزاج الوثيق بين حياة الفرد وقبيلته، فظلَّ الشعور القبليّ مسيطراً على الشعراء، وظلَّت المفاخرة القديمة بالأيام والأنساب محوراً لكثير مما قيل في هذا الشأن، فيذكر الرواة أن حسان بن ثابت استعان بأبي بكر الصديق ليعرف منه ما خفي من أنساب قريش، وتاريخها وأيامها، حتى ينتفع بتلك الحقائق في هجائه المشركين من قريش⁵.

ويعدُّ مقتل عثمان بن عفان ومبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة من بعده فاتحةً للشعر السياسي، فالشعر السياسي يقوى حيث تقوى الأحداث، وتذكي جذوته عندما تزداد نارها اضطراباً، فكانت هذه الحقبة من الزمن بما جرى فيها من أحداث، وما تبعها من انقسام في صفوف المسلمين من أهم الدوافع لبروز هذا الشعر.

¹ شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 63.

² أبو محجن الثقفي، عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف، أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة (9 هجرية)، وروى عدة أحاديث، وكان منهمكاً في شرب النبيذ، فحده عمر مراراً، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر، فهرب، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب إليه عمر أن يحبسه، فحبسه سعد عنده، واشتد القتال في أحد أيام القادسية، فالتمس أبو محجن من امرأة سعد واسمها سلمى أن تحل قيده، وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم، وأنشد أبياتاً في ذلك، فخلت سبيله، فقاتل قتالاً عجباً، ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه، فحدثت سلمى سعداً بخبره، فأطلقه وقال له: لن أحذك أبداً. (ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 76/5).

³ ثقيف: قبيلة عربية قديمة في مدينة الطائف في جزيرة العرب، تقيم منذ ما قبل الإسلام وإلى اليوم في مدينة الطائف وما حولها.

⁴ أبو محجن الثقفي، الديوان، 43.

⁵ ينظر: عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، 275-277.

ومن هنا يبرز شعراء الصف الأموي على الساحة، مطالبين بالثأر لمقتل عثمان، وبأن الخلفاء من بني أمية لهم الكفاية دون سواهم، لما يتوافر فيهم من حزمٍ وتدبيرٍ وكرمٍ وبراعة¹، فتؤول الخلافة لهم بعد ذلك، ففي وقعة صفين يقول الأخطل²:

البيسط

وَيَوْمَ صَفِينِ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ أَمَدَهُمْ إِذِ دَعَوْا مِنْ رَبِّهِمْ مَدَدُ
عَلَى الْأَلَى قَتَلُوا عُثْمَانَ مَظْلَمَةً لَمْ يَنْهَهُمْ نَشْدٌ عَنْهُ وَقَدْ نُشِدُوا
فَتَمَّ قَرَّتْ عِيُونَ النَّائِرِينَ بِهِ وَأَدْرَكُوا كُلَّ تَبَلٍ عِنْدَهُ قَوْدُ

وصور الشاعر عدي بن الرقاع المعمارك بين الأمويين ومن وقف ضدهم يوم المرج، وذلك عندما التقى جيشا مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري على أرض مرج راهط³، التي انتهت بمقتل الضحاك بن قيس⁴، يقول عدي بن الرقاع في ذلك⁵:

البيسط

إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى أَمْرًا يُبَلِّغُهُ الْأَدْنُونَ أَفْصَانَا
قَضِيَّةَ عَصَمَ اللَّهِ الْعِبَادَ بِهَا فَأَصْبَحُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِخْوَانَا
بَعْدَ الشَّقَاقِ وَأَضْغَانَ مُبَيَّنَةً وَمَيْتَةً كَانَتْ فِيهَا حَيْنٌ مَنَ حَانَا
فَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بَعْدَ اللَّهِ قَادَتُهُ بَنُو الْأَلَى غَضِيُوا مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَا

¹ ينظر: أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 8-9.

² الأخطل التغلبي، الديوان، 174. التَّبَلُّ: الحقد، (اللسان، مادة، حقد)، القَوْدُ: الخيل، (اللسان، مادة قود).

³ مرج راهط: هي معركة دارت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري الذي بايعه، وكان يدعو لبيعة ابن الزبير سراً، على أرض "مرج راهط"، وقد استغرقت المعركة 20 يوماً، وانتهت بنصر مروان بن الحكم في عام (64 هجرية)، وكان لهذه المعركة دورٌ هام في استتباب أمور الدولة الأموية لمروان بن الحكم والقضاء على خصمه عبد الله بن الزبير، وذلك ليصبح لاحقاً الخليفة.

⁴ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 145-153. الضحَّاكُ بن قيسِ الفهريِّ القرشيِّ، صحابي جليل وله أحاديث، كان جواداً، شهد فتح دمشق، وسكنها ووليها بعد ما كان ولي الكوفة من قبيل معاوية بن أبي سفيان، دعا لخلافة عبد الله بن الزبير بعد وفاة يزيد بن معاوية، فقتل سنة (64 هجرية) في الحرب خاضها ضد مروان بن الحكم بمرج راهط. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 241/3-245، وينظر: الزركلي، الأعلام، 213/3-214).

⁵ عدي بن الرقاع، الديوان، 170.

على أن كثيراً من الشعراء لم يستطيعوا أن يخلصوا من الانتماء القبلي القديم، وظلوا يفخرون بأنسابهم وأيام قبائلهم في الجاهلية، ومآثر آبائهم وأجدادهم في القرى والنجدة والبأس، ولعل شعراء الأمويين كانوا من أكثر شعراء تلك الفترة ميلاً لهذا الاتجاه¹، يقول عدي بن الرقاع في ذلك²:

الطويل

نَسِيْتُمْ مَسَاعِينَا الصَّوَالِحَ فِيكُمْ مَا تَذْكُرُونَ الْفَضْلَ إِلَّا تَوْهُمًا
فَإِنْ تَعْدُونَا الْجَاهِلِيَّةَ أَنَّنَا لَنُحَدِّثُ فِي الْأَقْوَامِ بُؤْسَى وَأَنْعُمًا
يَقُودُ إِلَيْنَا ابْنِي نِزَارٍ مِنَ الْمَلَا وَأَهْلَ الْعِرَاقِ سَامِيًا مُتَعَطِّمًا

ثانياً: عوامل ظهور الشعر السياسي وتطوره

إنّ ظهور الشعر السياسي قديماً وتطوره -فيما بعد ذلك- كان مرهوناً ونتيجةً لجملة من العوامل، أسهمت مجتمعة في إبراز هذا اللون الأدبي وجعله في مقدمة الألوان الشعرية المنفردة بصفاتها، والتميزة في أدائها، ونشأة الشعر السياسي والمراحل التي مرّ بها وما وصل إليه من التطور والرقى والتميز يعود في الأساس إلى ثلاثة عوامل هي:

1. النفاق السياسي والنزاع على الحكم

من الطبيعي أن يتناول الشعر السياسي أمور الدولة ونظمها، فلشعراء كما للخطباء والكتاب هذا الحق المقرّر ما دامت حرية الأدب مكفولة³. واتصل الشعر العربي بالسياسة منذ العصر الجاهليّ، أو منذ وجود القبيلة العربية، التي تعدّ الصورة المصغّرة للدولة، وقد تناول الشعر العربي السياسة من خلال الدفاع عن أحقية ممدوحه بالحكم والسلطة من غيره، بسرد الحجج والبراهين الدينية والدنيوية لتبرير موقفه وإقناع العامة برأيه⁴.

¹ ينظر: عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، 277.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 192-193.

³ أحمد الشايب، الشعر السياسي، 4.

⁴ أحمد الشايب، م، ن، 5-6.

ويُعدُّ اتخاذ الرسول -عليه الصلاة والسلام- حساناً شاعراً له وجهاً من وجوه العلاقة غير المنفصمة بين الشاعر والسياسة، فالدولة الإسلامية الجديدة بحاجة ماسة إلى شاعر بمستوى حسان من ليردَّ على خصومها من شعراء المشركين، فقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال لحسان: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَفَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"¹.

ولعب الشعر دوراً بارزاً في إطار الحزبية الأموية، حيث كان يعبر عن آرائهم السياسية، وحققهم في الخلافة، من خلال شعر المديح، ويدافع عن الأمويين من حيث النسب والشرف والحق في الإمامة، وتمثّل أيضاً بهجاء الخصوم والأعداء ومحاولة إبعادهم عن الخلافة²، يقول عديّ بن الرقاع في ذلك³:

البيسط

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ وُلِّيَ خِلَافَتَنَا	وَأَمْرَنَا خَيْرَنَا دِينًا وَأَقْوَانَا
مُرَّ الْعَدَاوَةَ يَشْفَى الْكَاشِحُونَ بِهِ	حُلُومًا إِذَا لَمْ تُرْبِهِ رَبِيبَةٌ لَنَا
نَحْنُ الرَّعِيَّةُ وَالرَّحْمَنُ يَحْفَظُنَا	وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ اللَّهِ تَرَعَانَا

وقد واكب هذا النوع من الأشعار السياسة الأموية والخلفاء الأمويين في حلهم وترحالهم، في غزواتهم وقصورهم، ومضى يعبر عن وجهة نظرها في العديد من القضايا السياسية، ومن هنا فقد استقطبت السلطة الأموية عدداً ضخماً من الشعراء المجيدين في ذلك العصر، وجاء الشعراء ينتجعون الأمويين، ويدافعون عن شرف الخلافة الأموية، ويلهجون بعظمة الخلفاء، ويذيعون في الناس سياسة الخليفة الحكيمة، وأخذ البيعة لولي العهد، وأنها حقٌّ سماويٌّ لهم دون غيرهم من الأمم⁴.

ولشعور الأمويين بكره عامة الجماهير لهم؛ دأب الخلفاء على تقريب الشعراء منهم بكل الوسائل، فجمعوا كبار الشعراء في قصورهم، فكانت جلبتهم وضوضاؤهم تموّه على عقول الجماهير، وتصمّ الآذان عن الإصغاء لدعوات المطالبين بهدم الدولة الأموية؛ التي بذل الأمويون في سبيلها

¹ مسلم، الصحيح، 12 / حديث رقم 284.

² إبراهيم الخواجة، شعر الصراع السياسي، 125.

³ عديّ بن الرقاع، الديوان، 171. من قصيدة مدح بها الوليد بن عبد الملك.

⁴ إبراهيم الخواجة، م.س، 125.

الغالي والنَّفيس، فأصبح الشعراء وسيلة الإعلام الرائجة في ذلك العصر، وكان رواجهم دافعاً قوياً لازدهار الشعر على كل المستويات والأغراض والموضوعات والأساليب، فقويت شوكتهم وهيبته سلطتهم، في حين أنهم كانوا مهمشين -إلى حدٍّ ما- في عصر صدر الإسلام الذي سبق عصر بني أمية¹.

يقول عدي بن الرقاع في ذلك²:

الكامل

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَمْ يَكُنْ لِيُطَبِّقْهَا إِلَّا أَمْرُؤُا لِلْمُعْضَلَاتِ حَمُولُ
بُدُوءَ لَهُ مَعَ دِينِهِ وَتَمَامِهِ حِلْمٌ إِذَا وُزِنَ الْحُلُومُ تَقِيلُ

نتيجة لذلك؛ جاء الشعر السياسي والنتاج الشعري بعامته -في تلك الفترة- زاخراً بالمعاني والألفاظ المعبرة عن أحقية طرف في الحكم من طرف آخر، ف وقعت المنازعات بين الفرق والأحزاب بالسيوف والأقلام، فهذا يرى أن هذا لا يصلح، وذاك هو الأصلح، ما أدى إلى إثراء الأدب بعامته بكم هائل من الأشعار والقصائد ذات التفسير السياسي في قوالب محكمة وقصائد مطولة، أو مقطعات شعرية عدت خير شاهد على أحداث وقعت في القرن الهجري الأول، وفي هذا قال عدي بن الرقاع³:

البسيط

إِنَّ الْمُلُوكَ وَمَا بِي أَنْ أُعِيبَهُمْ لَنْ يَجْمَعُوا مِنْ عَوَالِي الْأَمْرِ مَا جَمَعَا
لَا مُقَدَّمٌ كَانَ إِلَّا دُونَ مُقَدَّمِهِ وَلَا الْمُنَافِعُ إِلَّا دُونَ مَا نَفَعَا
فَلَا جَوَادُّ مِنَ الْأَقْوَامِ يَعْدِلُهُ فِي الْوَضْعِ وَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يَسَعَا
وَلَا أَحَقُّ بِعَدْلِ فِي رَعِيَّتِهِ فَمَا تَمَائِلَ فِي حُكْمٍ وَلَا ضَلَعَا

يرى بعض الباحثين من كون بني أمية من أشرف العرب عاملاً مهماً في انتشار الشعر السياسي وازدهاره، فخلفاء بني أمية من أهل الأدب وخاصته، ونفوسهم شاعرية حساسة، يطربون لسماع الشعر، ويتلذذون بما يصدق به الشعراء، فبعد أن حققوا مأربهم بإذاعة صيتهم من خلال أولئك

¹ رشيد يوسف عطا الله، تاريخ الآداب العربية، 167/1-168.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 209.

³ عدي بن الرقاع، م، ن، 220-221. والأبيات في مدح الوليد بن عبد الملك.

الشعراء، ها هم يحتفلون وشعراءهم في قصورهم بما يقولونه من شعر المديح لهم، ويتغنون بقصائد
فخر شعراء الدولة بمآثرهم، ويستمتعون بشعر الهجاء بخصومهم، يقول عدي في ذلك¹:

الوافر

أَلَسْتَ إِذَا نُسِبْتَ فَتَى قُرَيْشٍ وَأَكْرَمَهَا وَأَفْضَلَهَا رِجَالًا
أَبْتُ لَكُمْ مَوَاطِنُ طَيِّبَاتٍ وَأَحْلَامٌ لَكُمْ تَزِنُ الْجِبَالَ
وَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ فِيكُمْ سَيُوفًا حِينَ يُحْتَضِرُ الْقِتَالَ

أو قوله²:

المتقارب

هُوَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ مِنْ ضَرْبِهِ ضَرَبْتُهُ فِيهِ قَدْ تُعْرَفُ
وَسَادَةٌ كِنْدَةٌ أَخْوَالُهُ أَلَمْ مُلُوكُ فَلَيْسَ ابْنُهُمْ يَخْلَفُ
فَأَصْبَحْتَ أَنْتَ فَتَى النَّاسِ حَيْدٌ مَ نَ تَذْكُرُ أَحْسَابَهَا خِنْدَفُ

فهذه الأشعار المدوية يبدو أنها قيلت في مجالس الخلفاء وبحضرة الشعراء، فقد روي عن
معاوية أبي سفيان أنه قال: "اجعلوا الشعر أكبر همكم، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت
بفرسٍ أغرٍّ محجلٍّ، بعيدِ البطن من الأرض، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى، فما حملني على الإقامة
إلا أبيات عمرو بن الإطنابة³ وأنشأ يقول⁴:

الكامل

أَبْتُ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بِلَائِي وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرِّيْحِ
وَأَفْحَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
لَا دَفْعَ عَنْ مَائِرَ صَالِحَاتٍ وَأَحْمِي بَعْدَ عَنِّ عَرَضِ صَحِيحِ

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 112.

² عدي بن الرقاع، م.ن، 214.

³ عمرو بن عامر بن زيد مناة، الكعبي الخزرجي، شاعر جاهلي فارس، كان أشرف الخزرج، اشتهر بنسبته إلى أمه
الإطنابة بنت شهاب، من بني القين، وفي الرواة من يعده من ملوك العرب في الجاهلية، كانت إقامته بالمدينة،
وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس. (ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 80/5).

⁴ ابن رشيقي، العمدة، 29/1.

وكان خلفاء بني أمية وأمراؤهم يباحثون الشعراء في أمور الشعر، ويردون عليهم وينقدونهم، ويفاضلون بينهم في غرض أو بيت من الشعر أو معنى لطيف أو غيره، ناهيك عن أن عدداً من خلفاء الأمويين وولاتهم كانوا من الشعراء الأفذاذ، ولهم دواوين شعرية تزام كبار الشعراء، من أمثال يزيد بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، هذا الأمر زاد الشعر العربي -ولا سيما السياسي منه- رفعةً وإعزازاً، فكثر الشعراء المجيدون، وأصبحوا يتسمنون مكانتهم التي كانت لهم في الجاهلية¹.

ومما روي في ذلك أنه لما "ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن أن اجمع يدي عديّ بن الرقاع إلى عنقه، وابعث به إليّ على قتب بلا وطاء، ووكل به من ينخس به، ففعل ذلك، فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك ألقى بين يديه لا روح فيه، فتركه حتى ارتدت إليه روحه، ثم قال: أنت أهل لما نزل بك، ألسنت القائل في الوليد²:

البسيط

مَعَاذُ رَبِّي أَنْ نَبَقِيَ وَنَفَقِدُهُ وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعًا

قال عديّ: لا والله يا أمير المؤمنين ما هكذا قلت، وإنما قلت:

مَعَاذُ رَبِّي أَنْ نَبَقِيَ وَنَفَقِدُهُ وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُمْ تَبَعًا

فنظر إليه سليمان واستضحك، وأمر له بصلة، وخلقى سبيله³، فهذه الحادثة تدل على اهتمام الخلفاء أشد الاهتمام بما يقوله شعراء الدولة وبما ينطقون من شعر في حقهم، فإن كانوا يقولون الشعر في تأبيدهم وفي نشر مبادئهم أيدهم وأجزلوا لهم الأعطيات، وإلا حبسوهم وطردهم من مجالسهم.

¹ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 237 - 238.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 220. ورد في الديوان "عذنا برب العرش أن نحيا ونفقده".

³ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 42/2.

2. الخصومات القبلية

ارتبط الشعر العربي منذ اكتمال نشأته في العصر الجاهلي بالتعبير عن وجوه من نشاط القبائل العربية في حياتها المفردة وفي علاقة بعضها ببعض سلمياً وحرباً، وتحالفاً وصراعاً، في سبيل القيم المادية والاجتماعية التي كانت محور الحياة آنذاك¹.

على أن هذه العلاقات لم تبلغ حد السياسة بمعناه المعروف، إذ لم تكن مفاهيم الدولة والشعب والوطن مكتملة وواضحة لدى أبناء القبيلة الواحدة، إلا أن الشاعر الجاهلي لم يحسّ بحدود فاصلة بين حياته الفردية وتجاربه الخاصة؛ وبين قبيلته وتجاربها الجمعية، فكانت أشعار الشعراء -قبل الإسلام- مزيجاً من حياتهم الفردية وحيات قبائلهم التي ينتمون إليها، لذلك تحدث الشاعر -كما تحدث عن نفسه- عن أبطال قبيلته ووصف انتصاراتها ومفاخرها سواء شارك فيها أم لم يشارك².

وكان الشاعر مصدر فخر لقبيلته، فقد كانت القبائل تهنيء بعضها بعضاً إذا نبغ فيها شاعر³، وكيف لا تفخر به وهو صحيفتها السائرة، ولسانها الذي ينشر مفاخرها، ويهجو أعداءها، ويرثي موتها، ويشيد بمكانتها بين القبائل الأخرى، كما كان يثور عليها إذا هي قصرت في حقه ولم تنهض لحمايته⁴، يقول عدي بن الرقاع متفاخر⁵:

الطويل

وَنَحْنُ فَكَّكْنَا لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ خَالَهٗ	فَلَمْ نَسْتَنْبِهُ مَدْ فَكَّكْنَاهُ دِرْهَمًا
وَنَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أُنَيْفٍ وَرَهْطِهِ	بِأَرْمَاحِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مُعْظَمًا
فَكَّكْنَا بَنِي بَكْرِ وَقَدْ شَدَّ دُونَهُمْ	أَبُو كَرْبٍ غِيْلًا وَأَزْهَمَ مُحْكَمًا
وَسَادَةُ عَنَابِ بْنِ بَكْرِ كَأَنَّمَا	وَهَبْنَا بِهِ لِلتَّغْلِبِيِّينَ أَسْهُمَا

¹ ينظر: عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، 273.

² عبد القادر القط، م.ن. 274.

³ ابن رشيقي، العمدة، 37/1.

⁴ ينظر: أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 41.

⁵ عدي بن الرقاع، الديوان، 194. خال امرؤ القيس هو عدي بن ربيعة المسمى بالزير سالم أو المسمى مهلهل ربيعة، وأم امرؤ القيس هي فاطمة بنت ربيعة التغلبية، أخت الزير سالم. أزهم: داناه ولم يبلغه. (ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 220/3).

فهنا أورد الشاعر عَدِيَّ بن الرَّقَاع أموراً قامت بها قبيلته لنصرة إما أشخاص أو قبائل، فقد كان من عادة الجاهليين طلب النجدة إذا تعرضت القبيلة لغزو ولم تستطع القبيلة المغزية المواجهة، فيفخر الشاعر بهذه الأمور. ولم تغب الخصومات القبلية عن الشعر السياسي بعد مجيء الإسلام، فقد طفت العصبية على سطح الشعر، وتفاخر الشعراء بما تفاخروا به في الجاهلية، أو بما تفاخر به غيرهم ممن سبقوهم، يقول عَدِيَّ مادحاً الأسوار عبد الله بن يزيد¹:

الخفيف

زعم الناسُ أنَّ خَيْرَ قُرَيْشٍ	حسباً حين تُتسبُ الأسوار
بين حربٍ وعامر بن كَريزٍ	فألالَ الأكارمِ الأخيارُ
وَأَلَدَتْهُمُ حَوَاضُنُ مُنْجِبَاتُ	وَأَلالُ الحَوَاضِنُ الأحرارُ
وإذا ما تَضَعُضَعَتْ نارُ حربٍ	رفعوا نارَ حربِهِمُ فاستَثَاروا
فَهُمُ القَوْمُ سَوْدَدًا وِفْعَالًا	وندىً حين تُتَبَلَى الأَخْبَارُ
والمحامون حين يحتضِرُ الناسُ	وبالأكرمين يُحْمَى الذَّمَّارُ

فهذه الأبيات غابت عنها الروح الإسلامية السمحة، فكأنها قيلت في العصر الجاهلي بالرغم أنها نظمت في مدح الأسوار أحد أبناء يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، فالشاعر يمدح الأسوار بأن أجداده حرب بن أمية وعامر بن كَريز، وأمه ألال بنت عبد الله بن عامر بن كَريز وأنها من الحواضن الأحرار، وهو ابن يزيد بن معاوية، فكان سليل نسب شريف يُتباهى به، ومن قوم ذوي سؤدد وفخار، ويتميزون بالجوهر والعطاء، فهذه جميعها صفات جاهلية فخر بها الشاعر الجاهلي قديماً، وعَدِيَّ بن الرَّقَاع يعيدها في فخره بالأمويين.

¹ عَدِيَّ بن الرَّقَاع، الديوان، 184. حَرَبُ بنُ أمية بنُ عَبْدِ شَمْسِ الأمويِّ القُرَشِيِّ الكِنَانِيِّ، وهو والد أبو سُفْيَانَ وَجَدَّ مُعَاوِيَةَ، وكان سيد قبيلة كِنَانَةَ في حرب الفَجَّار، ضد قبائل قَيْسِ عَيْلانَ، (ت 36 ق. الهجرة). (ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 172/3). وعامر بنُ كَريزِ بن ربيعة بن حَبِيبِ بن عَبْدِ شَمْسِ، أسلم يوم الفتح، وبقي إلى خلافة عثمان. ألال: أم كلثوم بنتُ عَبْدِ اللَّهِ بن عامر بن كَريز.

3. التكبُّب

تُعَدُّ ظاهرة التكبُّب بالشَّعر، واتخاذها وسيلة للحصول على المال من السمات البارزة في أدبنا القديم، ويروى أن أعشى قيس أول من انتجع بشعره الملوك، طلباً لرفدهم ونوالهم، وكذلك فعل النابغة الذبياني، وهما شاعران جاهليان. واتسعت دائرة التكبُّب بالشَّعر في العصر الأموي، ويبدو أن غرض المدح من الأغراض الشعريَّة التي أكثر فيها الشعراء؛ لأنه قناة التكبُّب الوحيدة، وشعر المدح لا يخرج في مجمله عن اتجاهين أو تيارين، اتجاه صادق يصدر عن إعجاب بالمدوح؛ ولذلك تكون الصفات التي يخلعها على مدوحه أقرب إلى الواقعية والاعتدال وعدم الغلو والإفراط، ويشعر القارئ في هذا اللون من الشَّعر بصدق العاطفة وحرارتها. ونلاحظ أن معظم شعراء بني أمية تبنوا المبدأ الذي التزمه بنو أمية في الحكم، لإرضائهم، ونيل جوائزهم¹، يقول عدي بن الرقاع في مدح أحد الخلفاء²:

البيسط

يَدْعُو إِلَيْهِ بُغَاةَ الْخَيْرِ نَائِلُهُ وَإِذَا تَجَهَّزَ مِنْهُ نَائِلٌ قَفَلَا
فَجَنَّتُهُ أَبْتَغِي مَا يَطْلُبُونَ وَمَا لَمْ مُسْتَوْرِدُ الْبَحْرِ كَالْمُسْتَوْرِدِ الْوَشَلَا
غَيْثٌ خَصِيبٌ وَعَزٌّ يُسْتَعَاثُ بِهِ إِذَا أَتَاهُ طَرِيدٌ خَائِفٌ وَالْأَلَا

واتجاه شعر فيه برائحة المجاملة والتزلف، وتلمس في أعطافه فتور العاطفة وضعف الإحساس، وإن حاول الشاعر أن يوارى فتورها بما يخلع على مدوحه من صفات أفرطت في الإيغال إلى حدِّ الوهم، والدليل على ذلك أن المادح إذا لم ينل من مدوحه ما يرضيه من العطاء، انقلب عليه هاجياً مشنعاً.

واقترضت سياسة الأمويين استنصار القبائل بعضها على بعض، وكانوا يستعينون بالشَّعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم ويتألفونهم بالعطاء، لعلمهم بما لقول الشاعر من تأثير كبير في قبيلته، فالشاعر لسان قبيلته، وهذا جعل الشعراء يتقربون من الخلفاء ويجمعون حولهم قبائلهم في مساندة

¹ ينظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشَّعر الأموي، 77.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 80. الوشل: الماء القليل يتحلَّب من جبل أو صخرة، ويقطر منه قليلاً قليلاً.

حكم الأمويين¹، والشعراء ما فتئوا يلتمسون من ممدوحهم الأعطيات والهبات، فأحياناً يصرّحون بحاجتهم، وأحياناً يلمّحون من غير تصريح، فالشاعر عديّ بن الرقاع يقول في مدح عمر بن الوليد²:
الوافر

جوادٌ ليس قالاً حين يُوتى
تفيضُ يمينُهُ بالخيرِ فيضاً
وماذا الموجُ يطرحُ ساحله
بأجودَ من أبي حفصٍ إذا ما
لطالبِ حاجةٍ أبداً ألا لا
ولا يُلقى بنائله الشمالا
بغواصيه طرْحاً حين سالا
أنته العيسُ تخترقُ النقالا

وقد يلجأ الشاعر إلى هذا النوع من الشعر، كأن يمدح قوماً أو يهجوهم أو يرثي موتاهم أو يعجب بأثارهم، دون أن يكون الشاعر معتقداً مذهبهم ولا مثنياً عليهم في سبيل هذا المذهب ولا ذاكراً له، وإنما كان ذلك في سبيل عطاء يناله، أو حرمان أصابه، أو صلة خاصة بينه وبين زعيم³، فظاهرة التكسب بالشعر تعدّ من العوامل التي أسهمت في رواج شعر الهجاء وارتقائه كما هو الحال في شعر المديح، يقول عدي⁴:

الكامل

وله يدانٍ يدٌ يُخافُ عقابها
وترى بغاةَ الخيرِ يَنْتَجِعُونَهُ
يرِدُونَ ثُمَّتَ يَصْدُرُونَ فَمِنْهُمْ
يَغْشَوْنَ مُشْتَرَكَ الْفَوَاضِلِ عِنْدَهُ
ويَدٌ تُحَلِّبُ بِالنَّدَى وتُنِيلُ
مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ
مُتَرْحِلُونَ وَآخِرُونَ نَزُولُ
مَثْوَى تَوَارِثُهُ الْوُفُودُ رَسِيلُ

ويعد الشعر بهدف التكسب ونوال العطايا تأبيداً سياسياً غير مباشر، يُعنى به أرباب المذاهب السياسية، ويؤثرون شعراءه بالعطايا والتكريم، أو يغفرون لهم خطاياهم حتى يكثروا قاصدوهم، وكانت

¹ ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 235/1.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 113.

³ ينظر: أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، 14.

⁴ عديّ بن الرقاع، م.س، 207-208.

هذه الصورة كثيرة الظهور في تاريخ الشعر العربي على عدم مباشرتها الفكر السياسية، واعتمد عليها الأمويون، واتخذوا لهم داعية سياسياً هو بشر بن مروان¹ أيام عبد الملك بن مروان².

ولا يرقى الشعر السياسي بالتكسب درجة تصل إلى حد التأييد الحقيقي من قبل الشاعر لمذهب ما، ذلك أن الشاعر حين يدافع عن مذهب أو فرقة سياسية؛ بهدف غرض مادي أو مقابل عطية ينالها، فإنه يكون غير صادق قياساً بشاعر آخر ينظم شعره بدافع الانتماء السياسي الحقيقي والصادق لمذهبه وشيعته، يقول في مدح عمر بن عبد العزيز³:

الطويل

جَوَادٌ فَلَا يَنْفَكُ يُرْمِدُ بِأَبِهِ أَوْلُو حَاجَةٍ مُسْتَبْشِرُونَ بِمُنْعَمٍ
فَقَدْ جُعِلَتْ كُتَابُهُ فِي مُؤُونَةٍ مَفَاتِيحَ مِنْ مَعْرُوفِهِ الْمُتَقَسِّمِ
إِذَا مَا حَبَا وَقَدَا أَنَاهُمْ بِمِثْلِهِ رُكُوبَ الْمَوَامِي بِالْمَطِيِّ الْمُخَزَمِ

فعدى بن الرقاع كان يختم قصائده بأبيات يبرر فيها صدق حبه لبني أمية وعدلهم، فلربما أُشير إليه بأنه لا يحب بني أمية وسياستهم وطريقتهم في الحكم، وإنما وفد إليهم مستعظياً نوالهم وهباتهم، فإذا تبدل سلطانهم انقلب عليهم وتحول إلى غيرهم كما يفعل الشعراء، وفي هذا يقول⁴:

الطويل

فَهَذَا ثَنَائِي صَادِقًا غَيْرَ كَاذِبٍ عَلَيْهِمْ وَمَنْ لَمْ يَقْضِ بِالْحَقِّ يَنْدَمِ

¹ بشر بن مروان (ت 75 هجرية)، أمير أموي من أبناء الخليفة مروان بن الحكم، وأمه قُطَيْبَةُ بنت بشر البديوية من بني كلاب، شارك في وقعة مرج راهط (سنة 64 هجرية)، وبعد ارتقاء أبيه الخلافة تبعه في حملته على مصر، عين الخليفة مروان بن الحكم ولده عبد العزيز والياً على الخراج والصلاة، وترك بشراً في صحبة أخيه عبد العزيز، وبعد مدة وجيزة تغيرت العلاقة بين الأخوين، وعاد بشر إلى الشام. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 145/4-149، وينظر: الزركلي، الأعلام، 3/55).

² الأصفهاني، الاغانى، 61/11.

³ عدى بن الرقاع، الديوان، 131. يرمد: يهلك ويجذب ويمحل، (اللسان، مادة، رمد). الموامي: مفردها موماة، وتعني المفازة الواسعة الملساء، (اللسان، مادة، موم).

⁴ عدى بن الرقاع، م، ن، 135. خاتمة القصيدة الحادية عشرة في مدح عمر بن عبد العزيز.

أو أن يدعو في ختام قصائده بأن يزيد على خلفاء بني أمية بالنعمة والفضل فهم أهل لذلك، في مثل قوله¹:

البسيط

فَزَادَهُمْ رَبُّهُمْ خَيْرًا وَفَضَّلَهُمْ
بِخَيْرٍ مَا فَضَّلَ السُّلْطَانُ وَالْأُمَّمُ

أو قوله²:

الوافر

أَتَيْتُكَ ثُمَّ عُدْتَ فَعُدْ بِخَيْرٍ وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا يُجْرَى عِلَالًا
فَصَدِّقْ مِدْحَتِي وَأَجِزْ كَرِيمًا إِذَا مَا عَفَّ عَنْ بَلَدٍ أَطَالًا

فالشاعر لم يأت الخليفة ليطلب المسألة منه دائماً، لأنه إنسان عفيف، ولكنه عندما تصيبه نوائب الدهر يلجأ لممدوحه ليساعده ويعطيه مسألته، فهو يمدحه مدحاً صادقاً وليس كاذباً كغيره من الشعراء.

ولم يتورع شعراء التكسب في تاريخ الشعر العربي عن تغيير وجهتهم السياسية بتغيير الدول والممالك وتبدل الخلفاء، بل نجد شعراء يمدحون خصمين في وقتٍ معاً، ما يضطرهم إلى تبرير ذلك أمام ممدوحهم، بأسبابٍ يختلقونها، وهذا ما لم يفعله عدي بن الرقاع فقد عاش محباً للأمويين راضياً بحكمهم ومات على ذلك، لأنه ولد ودولة بني أمية قائمة، ومات قبل أن تزول دولتهم.

يؤدي شاعر التكسب دوراً مهماً في الدفاع عن ممدوحه ورفع شأنه في مواجهة الآخرين، ويقف سبباً رئيساً يضاف إلى بقية الأسباب الأخرى التي أدت إلى ظهور شعر السياسة في العصر الأموي، وتطوره منذ القدم.

وفي العصر الأموي، لم يكن خلفاء بني أمية ليفوتهم مثل هذا الأمر، "فقد كانوا يعلمون أن الشاعر إذا قال القصيدة في مدحهم أو هجائهم جالت أقواله آفاق الدولة، وتغنى بها لهم أو عليهم كبير

¹ عدي بن الرقاع، الديوان ، 119. خاتمة القصيدة الثامنة في مدح عمر بن الوليد.

² عدي بن الرقاع، م، ن، 114. العفّ: من كفّ وتعفّف واستعفف وأعفه الله، أو افتقر ولم يسأل الناس (اللسان، مادة، عفف).

العرب وصغيرها، وحضريها وبدويها، فكانوا يفيضون على مشايعهم بالأعطيات، وكانو يقطعون عنهم السنة أضدادهم بكرمهم وحلمهم وطول أناتهم، ولم يكن أحدٌ أدرى منهم بحاجة الدولة إلى هؤلاء الجند، الذين ليس لهم سلاحٌ إلا ألسنتهم الحادة السليطة¹.

وفي ذلك ما قام به الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية عندما أتى إليه عديّ بن الرقاع كسيراً، يقول عديّ في ذلك²:

البيسط

يا ابنَ الخليفةِ إنِّي قدْ تَأوَّبَنِي	همُّ أعانَ عليَّ السُّمَّ والسَّهْرَا
داويتَ ضيفَكَ حتَّى قامَ مُعْتَدِلًا	ورَشَّتَهُ فرآهُ النَّاسُ قدْ جُبِرا
بالبِزِّ والفرَسِ الحِسناءِ مَوْهَبَةً	وباللقَّاحِ الصَّفَايا تَحْلِبُ الدَّرَرا
فإنَّ بحركَ لا تجزِي البحورُ بِهِ	وإنَّما أنتَ غَيْثٌ طالما مطَرا

فقد قام الأسوار باستضافة عديّ بن الرقاع عندما كسرت رجله حتى جبرت، فأكرمه حتى أتمّ علاجه، ثم بعد ذلك أعطاه فرساً وعشراً من النوق الصفايا³، فالخليفة يُكرم شاعر بني أمية، فهنا تبدو عناية الأمويين بشعرائهم واهتمامهم بهم، فهم جزء من نظام الحكم عندهم، فكلما اعتنى بنو أمية بشعرائهم ازداد حُبُّ الشاعر لممدوحيه، وتقرب منهم أكثر، وكانت العلاقة أقوى من ذي قبل.

¹ رشيد يوسف عطا الله، تاريخ الآداب العربية، 167/1.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 191.

³ عدي بن الرقاع، م، من، مقدمة القصيدة التاسعة عشرة من ديوان عديّ بن الرقاع، 186.

الفصل الثاني

الأغراض الشعريّة ذات التفسير السياسي في ديوان عديّ بن الرقاع العاملي؛ دراسة
موضوعية

المبحث الأول: غرض المديح:

أولاً: في الخلفاء

ثانياً: في الأمراء

المبحث الثاني : الأغراض الشعرية الأخرى:

أولاً: الفخر

ثانياً: الهجاء

ثالثاً: الرثاء

المبحث الأول: غرض المديح

الشعر في موكب السياسة الأموية ورحاب الدولة الأموية واسع الميدان، متعدد الألوان، ومتنوع الأساليب والموضوعات، وكان إسهامه في نطاق الحزبية الأموية مدرسة لها أصولها وميزاتها، وشعراء البلاط الأمويّ كثرةً عديدةً يصعب على الدارس إحصاؤهم عدداً¹. وقد لعب الشعر السياسي دوراً مهماً في إطار الحزبية الأموية، حيث كان يعبر عن آرائها السياسية، وحقهم في الخلافة من خلال شعر المديح، ويدافع عن الأمويين من حيث النسب والشرف، والحق في الإمامة بهجاء الخصوم والأعداء، ومحاولة إبعادهم عنها².

ويعدّ المديح شكلاً من أشكال انتماء الشاعر الاجتماعي وطموحاته وعلاقاته بعلية القوم والسلطة، ويتضمن تسجيلاً لكثير من الأحداث التي عاصرها، فنشأ المديح عند العرب إعجاباً بالفضيلة وثناء على صاحبها، وحباً بالجليل من الأعمال، وندراً ما كان الشعر العربي بعيداً عن السلطة وطموحها³.

وقد واكب هذا النوع من الأشعار الخلفاء الأمويين في حلهم وترحالهم، في غزواتهم وقصورهم، ومضى يعبر عن وجهة نظرها في العديد من القضايا السياسية، ومن هنا فقد استقطبت السلطة الأموية عدداً ضخماً من الشعراء المجيدين في ذلك العصر، وجاء الشعراء ينتجعون الأمويين، ويدافعون عن شرف الخلافة الأموية، ويلهجون بعظمة الخلفاء، ويذيعون في الناس سياسة الخليفة الحكيمة، وأخذ البيعة لولي العهد، وأنها حقٌّ سماويٌّ لهم دون غيرهم من الأمم⁴.

لقد عاش الشاعر عديّ بن الرقاع في عهد أكثر استقراراً ورخاء من الفترة التي سبقت عهده، فجلُّ حياته الشعرية كانت في الربع الأخير من القرن الأول الهجري، أي من خلافة عبد الملك بن مروان حتى خلافة عمر بن عبد العزيز، وهي الحقبة التي عاشها عدي بن الرقاع.

¹ الشكعة، رحلة الشعر، 90.

² إبراهيم الخواجة، شعر الصراع السياسي، 125.

³ ينظر: أحمد أبو قحافة، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، 28 - 30.

⁴ ينظر: إبراهيم الخواجة، م.س، 125.

وكان عَدِيّ مقدّماً عند خلفاء بني أمية مداحاً لهم، وعاش طيلة حياته في قصورهم يمدحهم ويرثي أمواتهم¹، ويهجو خصومهم، ويشاركهم حروبهم وفتوحاتهم ومخاصماتهم ضد الفرق الأخرى والقبائل التي انضمت إليها، فكان مذهبه السياسي أمويّ النزعة.

ويبدو ذلك جلياً من خلال ذلك الكمّ الهائل من شعر المديح الذي ضمنه ديوانه الشعري، والذي خصّ به خلفاء بني أمية وأمراءهم وولاتهم وكلّ من ناصرهم من الخاصة أو العامة، دون أن يكون دافع هذا التخصيص في المدح الرهبة أو النفاق السياسي أو التملق للأمويين، في وقت كان الشعراء يتفاوتون في شعرهم بين الصدق والنفاق، وبين الخوف والطمع، يقول بعد أن مدح عبد الملك بن مروان²:

المتقارب

وَمَا قُلْتُهَا رَهْبَةً إِنَّمَا يَحِلُّ الْعِقَابُ عَلَى الْمُذْنِبِ

ومعنى ذلك أن الشاعر عاش في حياة الخلفاء المروانيين الذين امتازت خلافتهم وسياستهم بالالتحام بين الروح العربية والروح الإسلامية، ومع وجود الاضطرابات التي حدثت في عهدهم إلا أنها لم تصل إلى الحدّ الأدنى من الاضطرابات والمنازعات بين الفرق في عهد السفينانيين الأوائل، وذلك في الفترة التي تلت مقتل عثمان بن عفان، والأحداث التي جرت في العقد الرابع من المائة الأولى الهجرية³.

ويبرز شعر المديح في موضوع الشعر السياسي أكثر من غيره من الأغراض، فالشاعر يريد بشعره المدحي أن يكون لسان الدولة الناطق، وسيضع ممدوحيه من الأمويين في هالة مقدسة، وسيسبغ عليهم ثوب الترفع والهيبة والتقديس، كما أنه سيصفهم ممثلين للإرادة الإلهية، وأنهم خلفاء الله في أرضه، وهم فضلٌ على من سواهم، وأنهم أهل الإسلام وخاصته، أضف إلى ذلك صفات

¹ الأصفهاني، الأغاني، 9/ 302.

² عَدِيّ بن الرِّقَاع، الديوان، 233.

³ ينظر: حسين عطوان، شعراء الدولتين، 26.

الكرم والشجاعة والمروءة ونصرة المظلوم، وما عداها من ميزات وصفات تغنى بها الشعراء ممن سبقوه في ممدوحهم.

أولاً: الخلفاء

عاصر عَدِيّ ستة من الخلفاء الأمويين، فحصر مدائحه فيهم وفي غيرهم من أمرائهم وبعض عمّالهم، وتغنى بعزهم ومجدهم وسجاياهم، وسأندرج زمنياً في ديوان الشاعر عَدِيّ بن الرقاع في مدحه بني أمية، من خلال الحديث عن قسمين من ممدوحي الشاعر، القسم الأول مخصص لممدوحيه من الخلفاء، وهم أربعة: عبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز¹، والقسم الثاني مخصّص لقصائده المدحية في الأمويين من الأمراء وهم ثلاثة: عمر بن الوليد بن عبد الملك، وعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، والأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية.

وقد جاءت قصائده المدحية في الديوان غير مرتبة زمنياً تبعاً للأشخاص أو الحوادث، فقد جاءت أول قصيدة مدح في الديوان كانت في عمر بن الوليد بن عبد الملك²، ثم تلتها قصيدة في مدح أبيه الوليد³، فقصيدته المدح للابن عمر جاءت قبل قصيدة أبيه الوليد، بالرغم من أن قصائد عَدِيّ بن الرقاع في مدح الوليد كانت أكثر، كما أن هذه القصائد تتفاوت في طولها وعدد أبياتها، ومناسباتها، وقد خصّ الوليد بن عبد الملك وولده عمر بن الوليد بأروع مدائحه، فكان له نصيب الأسد في الديوان⁴، يقول عَدِيّ بن الرقاع فيهم مادحاً⁵:

الخفيف

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَصْطَفَاهُمْ وَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ أَصْفِيَاءُ

¹ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَبُو حَفْصِ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ (ت 101 هجرية)، وأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ لَيْلَى بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَيُقَالُ لَهُ أَشَجُّ بَنِي مَرْوَانَ. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 148-114/5، والزركلي، الأعلام، 50/5).

² قصيدة المدح الأولى في الديوان كان ترتيبها الثالثة من مجموع تسعة وعشرين قصيدة (60-72).

³ أول قصيدة في مدح الوليد جاء ترتيبها الرابعة في الديوان.

⁴ تحسين محمد الصلاح، عَدِيّ بن الرقاع؛ حياته وشعره، 70.

⁵ عَدِيّ بن الرقاع، الديوان، 159.

فَأَرَى أَنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ
حَفِظُوا مَا وَاوَاهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ
فَهُمْ خَيْرٌ مَن تَطَّلُ السَّمَاءُ
كُلُّ قَوْمٍ بِأَمْرِهِمْ أَوْلِيَاءُ

1. عبد الملك بن مروان

لم يرد في ديوان عديّ بن الرقاع إلا مجموعة من الأبيات يمدح فيها عبد الملك بن مروان، ومعظم كتب التاريخ والأدب روت أنها في مدح عبد الملك بن مروان¹، ونقل جامع الديوان ثعلب أنها وردت في مدح الوليد²، ولكن مضمون الأبيات يبين أنه يمدح عبد الملك من خلالها، وذلك لأن هذه الأبيات نظمها الشاعر مصوراً فيها واقعة حربية وقعت بين عبد الملك بن مروان ومُصعَب بن الزُبَيْر³، شارك الشاعر فيها⁴.

ولربما مدح عديّ بن الرقاع الوليد بن عبد الملك في حضرته، وكأنه يريد أن يسجل حدثاً تاريخياً شاهده بأَم عينه، وشارك الشاعر في أحداثه، فأراد أن يسرد للوليد حادثة من أهم الحوادث التي قام بها أبوه عبد الملك في منع الفساد في الدولة ووَأد الفتنة.

وانتهت هذه الواقعة بمقتل ابن الزبير بمسكن دير الجاتليق⁵، وهو موقع قريب من البصرة على نهر دُجَيل المتفرع من نهر دجلة، وكان ذلك في السنة الواحدة والسبعين هجرية، وكان ابن الزبير مناهضاً للسياسة الأموية، متحالفاً مع شقيقه في الحجاز عبد الله بن الزبير ووالياً له على

¹ الأصفهاني، الأغاني، 298/9.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 232 - ص233.

³ مُصعَب بن الزُبَيْر بن العوّام، (ت 71 هجرية)، وهو ابن الصحابي الزبير بن العوام، وأخو الخليفة عبد الله بن الزبير، وقائد معركته مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي، كان أميراً على العراق في خلافة أخيه عبد الله بن الزبير، وقتل في معركته أمام جيش بقيادة عبد الملك بن مروان، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يرافقه في الجيش، عند دير الجاتليق، وأمر الحجاج بقطع رأسه، وبعث به إلى أخيه عبد الله بن الزبير في مكة. (ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 140/4-145، والزركلي، الأعلام، 247/7-248).

⁴ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 321/8، والطبري، تاريخ الأمم والملوك، 517/3.

⁵ دير الجاتليق: دير كان يقع على نهر دجلة.

البصرة، لأنه نصّب نفسه خليفة للمسلمين في الحجاز، وهما من بني أسد بن عبد العزى¹. فخرج إلى
البصرة للقاء عبد الملك، بعدما خذله أهل الكوفة².

لذلك نجد الشاعر عديّ بن الرقاع يربط بين النفاق وأهل العراق، وتؤكد كتب التاريخ هذه
الرابطة، فقد تميز أهل العراق بالميل إلى كفة القوي دائماً، فقد قال الحافظ بن كثير مصوراً ما حدث
بدير الجاثليق، إن مُصعباً خرج واختلف عليه أهل العراق، وخذلوه، وجعل يتأمل من معه فلم يجدهم
يقاومون أعداءه³.

ولأن عديّاً كان شاهداً عياناً على هذه الواقعة -كما يبدو في الأبيات- صدح لسانه مصوراً
ما حدث فيها حيث، يقول في ذلك⁴:

المتقارب

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا	بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ
وَرَدْنَا الْفُرَاتَ وَخَابُورَةَ	وَكَاْنَا هُمَا ثِقَّةَ الْمَشْرَبِ
عَلَى كُلِّ رَبْوٍ نَرَى مُعَلِّمًا	يُصْرَفُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ
لِضَاحِيَةِ الشَّمْسِ فِي رَأْسِهِ	شُعَاعٌ يُلَالِي كَالْكَوْكَبِ
إِذَا مَا مُنَافِقُ أَهْلِ الْعِرَا	قِ عُوْتَبَ يَوْمًا فَلَمْ يُعْتَبِ
دَلَفْنَا إِلَيْهِ بِذِي تَدْرَأِ	قَلِيلِ التَّفَقُّدِ لِلْغَيْبِ
بِجَيْشٍ مَتَى هَبَطُوا غَائِطًا	وَإِنْ كَانَ ذَا كَلًّا يُجْدِبِ
وَمَا قُلْتَهَا رَهْبَةً إِنَّمَا	يَحِلُّ الْعِقَابُ عَلَى الْمُذْنِبِ
وَلَا سَائِلًا إِنَّ عِنْدَ الْإِلَـ	هِ خَيْرَ الْمَسَائِلِ وَالْمَطْلَبِ

¹ ابن كثير، م.س، 321/8. وينظر: الطبري، م.س، 517/3.

² الطبري، م.ن، 319/3.

³ ابن كثير، البداية والنهاية، 318/8.

⁴ عديّ بن الرقاع، الديوان، 232-233. هذه هي الأبيات المدحية في القصيدة التي قوامها سبعة عشر بيتاً، حيث
ابتدأها واختمتها بأبيات من الحكمة. ذي تَدْرَأ: ذي جيش ذي دفع (اللسان، مادة، درأ).

ولاحقاً بهذه الأبيات؛ أثبت جامع الديوان في الذيل مجموعة من الأبيات غير واردة في الديوان، وأشار إلى أنها ساقطة من القصيدة السابعة والعشرين¹، التي أخذنا منها المقطوعة السابقة، ويذكر أن هذه الأبيات التي سقطت لأنها نظمت على الوزن والقافية والموضوع، يقول الشاعر²:

المتقارب

ق حَتَّى تَرَكَنَاهُ كَالْمِشْجَبِ	وَجَرَّتْ سَنَايِكُهَا بِالْعَرَا
ة مُعْتَدِلَ النَّصْلِ وَالنَّعْلَبِ	يَهْرُونَ كُلَّ طَوِيلِ الْفَنَّا
ضَجِيحُ قَطَا بَلَدِ مُخْصَبِ	كَأَنَّ وَعَاَهُمْ إِذَا مَا غَدَوْا
كَرِيمِ الضَّرَائِبِ وَالْمَنْصَبِ	يُقَوِّمُنَا وَاضِحٌ وَجْهُهُ
إِذَا مَا انْجَلَّتْ غَمْرَةُ الْمَوْكَبِ	أَغْرُ يُضِيءُ لَنَا نُورُهُ
رِوَاقًا مِنَ النَّقْعِ لَمْ يُطْنَبِ	تَظَلُّ الْقَنَابِلُ يَكْسُونُهُ
وَمَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ لَا يُغْلَبِ	أَعَيْنَ بِنَا وَنُصِرْنَا بِهِ
وَإِنْ شِئْتَ زِدْتُ عَلَيْهِمُ أَبِي	فِدَاؤِكَ أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا
وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبِ	فَمَنْ يَكُ مِنَّا يَبِيتُ آمِنًا

وتصور هذه الأبيات -كما يبدو- ما حدث بين عبد الملك ومُصْعَب بن الزبير، وتظهر الأبيات مدحاً صريحاً وجلياً من الشاعر عدي بن الرقاع لعبد الملك، فما من شك أن الشاعر قد قال قصيدته في أثناء تلك الواقعة وليس بعدها، وأنه كان مرافقاً للخليفة في أثناءها وشارك فيها بسيفه وقلمه³.

وربما كان عدي أحد فرسان عبد الملك الذين شاركوا في المعركة، فأشاد بمنزلته وشجاعته وقيادته الجيوش، وبيّن موقف القبائل اليمانية المؤيدة لخلافته، ونوّه بنصرتها له على أعدائه، ووقفها إلى جانبه في معاركه مع الزبيرية من القبائل القيسية، ومساندتها له في معاركه مع الشيعة، وثباتها

¹ عدي بن الرقاع، م.ن، ذيل الديوان، 248.

² عدي بن الرقاع، م.ن، 248. أغر: الأبيض من كل شيء، (اللسان، مادة، غرر)

³ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 517/3.

على ولائها لبني أمية، فاحتفظ عبد الملك لها بمنزلة مرموقة في دمشق، وظلّ يتمسك بها ويعتمد عليها، فكانت تشكل صلب جيشه في الشام مما عزز موقفه وعجل له بالفوز¹.

ويروى أنه "قد أشار بعض أصحاب عبد الملك عليه أن يبقى في الشام ويرسل إليه جيشاً فأبى، وقال: لعلّي إن بعثت إليه رجلاً شجاعاً كان لا رأي له، ومن لا رأي له لا شجاعة له، وإني أجد من نفسي بصيراً بالحرب والشجاعة، وإن مُصعباً في بيت شجاعة، وأبوه أشجع قرشي، وأخوه لا تُجهل شجاعته، وهو شجاع ولكن معه من يخالفه، ولا علم له بالحرب"².

ويعمل ابن الرّقاع على إظهار الجانب المدحي مستتراً وراء كلمات التعظيم والإشادة، وهو أن بني أمية أهل لحمل الأمانة والحفاظ عليها، ويسعون دائماً لراحة الرعية، فإيمانهم المطلق بحتمية الحفاظ على أمن الرعية ووأد الفتنة والفساد، قد أوكلت إليهم أن يقوموا بمهمة الجهاد بأنفسهم، فعبد الملك كغيره من خلفاء بني أمية هو الذي يتقدم الجيوش ولا يوكل أحداً غيره، فنقدّمهم واضح الوجه فاجتمعت صفتا الشجاعة والإشراق في آن معاً.

فعدّي صدر في مدحه لعبد الملك عن طيب خاطر، ولم يقل أبياته السابقة بدافع الخوف والرهبنة، لأن عقاب الخليفة لا يقع إلا على المذنبين، وعدّي لم يكن واحداً منهم، فخاطبه بلهجة صادقة نابعة من موقف سياسي مؤيد له.

وفي الأبيات السابقة التي قيلت في مدح عبد الملك بن مروان يبين الشاعر أنه يعبر بها عن صدق محبته للأمويين، فهو شاعر دمشقي يختلف عن أقرانه بأنه كان يعيش في حاضرة الخلافة، ولم يفتد على قصور الخلفاء مستجدياً أو طامعاً في نوال هدية مقابل كلام طائر لا يميّز صدقه من كذبه، فشعراء الدولة الأموية المدافعين عن سياستها متفرقين في الأمصار سوى عدّي بن الرّقاع³.

وعلى الرغم من أنّ عدّي أدرك خلافة عبد الملك كلها؛ فإنّ ما وصل إلينا من أخباره وأشعاره لا يدلّ على وجود صلة مميزة بينهما، ولم نعثر في شعره على مدح لعبد الملك سوى الأبيات السابقة،

¹ تحسين محمد الصلاح، عدّي بن الرّقاع؛ حياته وشعره، 71.

² ابن كثير، البداية والنهاية، 318/8.

³ ينظر: مصطفى الشكعة، رحلة الشّعْر، 90.

وهي تدل على موقف سياسي اتخذه عديّ من حركة ابن الزبير، ولعل مدائح في عبد الملك ضاعت¹.

وروت بعض الكتب التاريخية بيتين شعريين نسبا لعديّ بن الرقاع ولم يردا في ديوانه، وضعهما أبو العباس ثعلب في ذيل الديوان²، ونسبهما الطبري للبعيث الإشكري³، ونسبهما الأصفهاني ليزيد بن الرقاع أخي عديّ، وقال: "أو للبعيث الإشكري"⁴.

ومهما يكن من أمر فإن هذين البيتين يدلان على حادثة واضحة هي مقتل مُصعب بن الزبير، يقول عديّ بن الرقاع⁵:

الطويل

وَنَحْنُ قَتَلْنَا ابْنَ الْحَوَارِيِّ مُصْعَبًا أَخَا أَسَدٍ وَالْمُدْحَجِيَّ الِيمَانِيَا
وَمَرَّتْ عُقَابَ الْمَوْتِ مِنَّا بِمُسْلِمٍ فَأَهْوَتْ لَهُ ظُفْرًا فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا

وهذان البيتان يدلان على المناكفة السياسية بين الأمويين وبني هاشم، "فقد أرسل عبد الملك بن مروان أخاه محمد بن مروان إلى مُصعب بن الزبير ليعطيه الأمان، ويكفي المؤمنين شرّ القتال فأبى، وقال: إنّ مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً"⁶.

هذا هو الشاعر الذي يبرر لخليفته أفعاله، ويعمل بكل ما أوتي من فصاحة وبلاغة على وضع ممدوحه في جانب الحق والعدل وإبعاده عن جانب الباطل، فكان هذا التصوير الفني لحادثة دير الجاتليق يُبعد كل ما يُقال عن عبد الملك، بالرغم من أنه "بكى لما أتوه برأس مُصعب وسجد، ثم

¹ تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع؛ حياته وشعره، 53.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، ملحق الديوان، 278.

³ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 160/10.

⁴ الأصفهاني، الأغاني، 26/19.

⁵ عديّ بن الرقاع، م.س، ذيل الديوان، 278.

⁶ ابن كثير، البداية والنهاية، 319/8.

قال: لقد كان بيني وبين مُصعب صحبةً قديمةً، وكان أحبَّ الناس إليّ، ولكنَّ هذا الملك عقيمٌ...¹،
ويروي الحافظ بن كثير أبياتاً شعرية قالها عبد الملك عندما وضع رأس مُصعب بين يديه²:

الوافر

لقد أردى الفوارسَ يوم عبسٍ غلامٌ غيرُ مناعِ المتاعِ
ولا فرحٍ بخيرٍ إن أتاه ولا هلعٍ من الحدّثانِ لراعِ
ولا رقابةً والخيلُ تعدو ولا خالٍ كأنبوبِ اليراعِ

وبمقتل ابن الزبير هدأت الأحوال السياسية تمهيداً لعهد الوليد بن عبد الملك (ت 96 هجرية)،
فقد استطاع عبد الملك أن يعيد السيوف إلى أغمادها، وأن يضعف هيبة سيوف أهل العراق بسيطرته
عليهم، فهو لم يقتل مُصعباً فحسب؛ وإنما قضى على الفتن والدعوات عن بكرتها والتي كانت تدعو
إلى الثورة على الخلافة الأموية في دمشق، واستطاع بحكمته أن يبائعهم، فتخلوا عن ابن الزبير ومن
قبل عن الحسين، فدان العراق له من مشرقه لمغربه، وتبعته خراسان، ولم يبقَ في وجه الخليفة سوى
عبد الله بن الزبير أخي مُصعب في الحجاز، حيث استطاع القضاء عليه بأن أرسل إليه الحجاج بن
يوسف بعد فترة³.

وبهذه الحادثة انتهت الأشعار التي قيلت في عبد الملك بن مروان (ت 86 هجرية) التي
وردت في ديوان عديّ بن الرقاع، حيث استمرت خلافته إحدى وعشرين سنة.

2. الوليد بن عبد الملك

بويح الوليد بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ست وثمانين هجرية، فكان الخليفة الأموي الثاني الذي
يمدحه ابن الرقاع، بل قل إن عصر الوليد هو عصر الازدهار الأدبي والنبوغ الشعري لابن الرقاع،
إذ إن معظم الشعر المدحي والسياسي الذي قاله عديّ بن الرقاع يعود إلى عصر الوليد.

¹ ابن كثير، م.ن، 319/8.

² ابن كثير، م.ن، 324.

³ محمد السيد الوكيل، الأمويون بين الشرق والغرب، 383/1.

ورد في الديوان عشر قصائد في مدح الوليد من ما مجموعه تسع وعشرون قصيدة، أي ما يعادل ثلث قصائد ديوان عدي بن الرقاع جاءت في مديح الوليد، إلا قصيدة واحدة وهي السادسة في ترتيب الديوان، جاءت معنونة بمدح الوليد بن عبد الملك ولم نعثر على بيت مديح واحد فيها¹، وجاءت القصائد موزعة في الديوان وغير متسلسلة، وهذه القصائد استهلها الشاعر بمقدمات طلبية - غالباً - ومن ثم أتى على الموضوع الرئيس فيها.

والوليد بن عبد الملك هو المصطفى من الله، فبنو أمية اعتمدوا على مبدأ الجبر في دعوتهم السياسية، وهو مبدأ يتلخص في أن حكم بني أمية قدر محتوم من الله تعالى، فكل شيء يسير بقضاء الله وقدره، ولا سبيل لتغييره، ولا داعي للخروج على حكمهم لأنهم مختارون عند الله، وكان الغرض من إذاعة هذا المبدأ بين الناس هو صرف خصوم بني أمية عن معارضتهم والعمل للتخلص من خلافتهم، فالله تعالى هو الذي شاء أن يكونوا خلفاء في الأرض، وأوصيائه على العباد، ولا راد لمشيئته، ونلاحظ أن معظم شعراء بني أمية تبناوا هذا المبدأ ونادوا به لإرضائهم ونيل جوائزهم²، يقول عدي³:

البيسط

يا ربنا ولين الأمر أتقانا	غداة يدعون والأبصار خاشعة
بنصره وبسيف الله مروانا	فبيض الله يوم المرج أوجههم
زادوا ذوي عقلنا شكراً وإيماناً	وبابنه بعده عبد المليك فقد
من أهل بيئتهما نوراً وبرهاناً	ثم اصطفى الله للإسلام بعدهما
واختار منا الذي يرضى فأرضانا	رأى الوليد لها أهلاً فملكه
وأمرنا خيرنا ديناً وأقوانا	فالحمد لله إذ ولى خلافتنا

وكان زياد بن أبيه أول من بشر بهذا المبدأ، وأعلن أن الله اختارهم للخلافة، وأنهم يحكمون بقضائه، ويعملون بإذنه، فقال: "أيها الناس إن أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة"⁴، ونسوسكم بسلطان الله

¹ ينظر: عدي بن الرقاع، الديوان، القصيدة السادسة، (96-107).

² ينظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، 77.

³ عدي بن الرقاع، الديوان، 171. يوم المرج: معركة مرج راهط، ذكرت في هامش سابق، (ينظر: 45).

⁴ ذادة: مفردتها ذائد، وهو من يحمي الحمى، (اللسان، مادة، ذود)

الذي أعطانا، ونزود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم العدل فيما ولينا¹. ونجد هذا المبدأ منتشراً في مدائح عديّ للوليد بن عبد الملك، فالله الذي اختاره للخلافة، ولا تبديل لإرادة الله، فهو لم يغتصب الخلافة اغتصاباً، وإنما ببيع بها مبايعة، بسبب الصفات الإسلامية التي تحلى بها²، يقول عديّ في إحدى قصائده³:

الكامل

وَعَطَاءُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَزِيلٌ	أَعْطَى أَبَاكَ اللَّهُ أَمْرَ جُنُودِهِ
عَمَّا رَعَى مُتَحَبِّرٌ مَسْؤُولٌ	فَرَعَى بِإِحْسَانٍ وَكُلُّ خَلِيفَةٍ
وَقَضَاءُ رَبِّكَ نَافِذٌ مَفْعُولٌ	وَقَضَى لَكَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ

وبتولي الوليد بن عبد الملك الخلافة قرّب إليه القبائل القيسية، وأسند إلى رجالها بعض المناصب المهمة في الدولة، وأبقى على علاقاته الطيبة مع القبائل اليمانية، فبقيت هذه القبائل على ولائها له وأخلصت في مناصرته، كما قرّب الوليد إليه عديّ بن الرقاع، واتخذه شاعراً لبني أمية، وقويت الصلة بينهما، وعظمت مكانة عديّ عن الوليد، فقدّمه وآثره على غيره من الشعراء، وأغدق عليه الأموال والعطايا⁴، يقول عديّ⁵:

الخفيف

وَقَدْ حَبَانِي الْوَلِيدُ يَوْمَ أُسَيْسٍ	بِعِثَارٍ فِيهَا غِنَى وَبَهَاءُ
يَحْسَبُ النَّاظِرُونَ مَا لَمْ يَفْرُوا	أَنَّهَا جِلَّةٌ وَهَنَّ فِتَاءُ

قال في موضع آخر⁶:

البسيط

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، 123.

² تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع: حياته وشعره، 77.

³ عديّ بن الرقاع، م.س، 208.

⁴ تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع: حياته وشعره، 54.

⁵ عديّ بن الرقاع، الديوان، 157. أسيس: ماء شرق دمشق، العثار: الإبل التي أتت عليها سنة أشهر من حملها،

(اللسان، مادة، عثر).

⁶ عديّ بن الرقاع، م.ن، 118.

لَهُ عَلَيَّ أَيَادٍ لَسْتُ أَكْفُرُهَا وَإِنَّمَا الْكُفْرُ إِلَّا تُشْكِرُ النَّعْمَ

ولا يبتعد ابن الرقاع في مدحه عن المعاني المدحية المتداولة عند غيره من الشعراء، والتي نالت رضا الممدوحين، وغضب النقاد على ابتذالها وتكرارها، إلا أنه لا يسعى إلا لإرضاء الممدوح، يقول¹:

الكامل

فأذكرُ أميرَ المؤمنينَ بِمدْحَةٍ إنَّ الوليدَ لَهُ عَلَيَّ فُضُولُ
أنتي وَلَا ألو وَأَعْلَمُ أَنَّهُ فوقَ الذي أَنتِي بِهِ وَأَقُولُ
ولَهُ يدَانِ يَدٌ يُخَافُ عِقَابُهَا وَيَدٌ تُحَلِّبُ بِالنَّدَى وَتُنِيلُ

وانفق المؤرخون على كثرة عطايا الوليد وإكرامه لكل فئات الشعب، فقد قال للناس: لا تسألوا أحداً، وأعطى كلَّ مُقَعَدٍ خادماً، وكلَّ ضريرٍ قائداً، وكان يبرِّ حملة القرآن وحفظته ويكرمهم ويقضي عنهم ديونهم²، فإذا طلب الشخص العون منه أعطاه حتى لو أعاد ذلك مراراً، يقول عدي في هذا³:

الكامل

وَإِذَا غَدَا يَوْمًا بِنَفْحَةٍ نَائِلٍ عَرَضَتْ لَهُ الْغَدَمِثُهَا فَأَعَادَهَا

وساد الوليد قبيلته، فحمل الأعمال عنها بسبب الصفات التي تمتع بها، وجمع مكارم الأخلاق ولم يغادر مكرمة واحدة منها، فهو أهل للسيادة وهو حقيق بهذا المديح، وهو أحق الناس بالخلافة، يقول⁴:

الخفيف

غَيْرَ أَنَّ الْوَلِيدَ مَا اخْتَارَهُ اللّٰهُ هُوَ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ رِعَاءُ
أَنْتَ فَوْقَ الَّذِي أَقُولُ وَلَكِنْ لَكَ عِنْدِي نَصِيحَةٌ وَتَنَاءُ

¹ عدي بن الرقاع، م، ن، 207.

² محمد السيد الوكيل، الأمويون في الشرق والغرب، 411/1.

³ عدي بن الرقاع، الديوان، 95.

⁴ عدي بن الرقاع، م، ن، 159. الرباء: الفضل والطول، (اللسان، مادة، ربي).

وإلى أهل بيته من قريش
 رضي الله عنهم واصطفاهم
 فآرى أنهم لذلك أهل
 يتأهَى عديدها والرباء
 وله من عبادِه أصفياء
 فهم خيرٌ من تظَلُّ السماء

وعدي بن الرقاع أحد الشعراء المفضلين لدى الوليد نجد أنه قد جادت قريحته بالأشعار التي تشيد بسياسة الوليد خاصة وبني أمية عامة، فاستطاع أن يصور صدق مذهبه بما أوتي من فصاحة وبلاغة في لسانه، وبين أنه من دعاة السياسة الأموية وليس من أولئك الذي يبيعون الشعر بيعاً، فأصبح شاعراً مقدماً ومجيداً، وواحداً من شعراء القصور في زمن كان في الكثير من الشعراء يطمحون في أن يكونوا بين يدي الخليفة، تلك المكانة التي لم تكن لتراود بعضهم حتى في الأحلام، فهو شاعر أمير المؤمنين يحسن مخاطبة الخلفاء والأمراء ومدحهم على الوجه الأكمل¹.

وليس عجباً أن يستأثر عدي بحب الوليد الذي لم يحتفل بالأخطل لأنه كان مختصاً بوالده، ولم يكن الوليد متسامحاً مع النصارى، إذ هدم بيعة لهم عندما سمع أجراسها² لتوسعة الجامع الأموي، فقد وردت أبيات في ديوانه تدل على ذلك³:

البيسط

بَنَى مَسَاجِدَ لِلإِسْلَامِ جَامِعَةً وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَ إِشْرَاكِ كَمَا كَانَا
 كَنِيْسَةً حَدَرَتْ عَادَ حِجَارَتَهَا مِنْ الْجِبَالِ الَّتِي شَرَقِي لُبْنَانَا

والوليد بن عبد الملك في المقابل قام ببناء المساجد ، وأكمل ما بدأه أبوه عبد الملك، في إشارة إلى بناء قبة الصخرة المشرفة، ووصف عدي بن الرقاع ذلك بأجمل الأوصاف، وقال إن المسلمين تغنوا بهذا البناء وفرحوا به، فتحدث عن النوافذ الملونة، والذهب الخالص الذي وضع على القبة الذي يخطف الأبصار لشدة لمعانه، فقد شيد في زمانه منشآت ضخمة ومرافق كثيرة، ونال الناس غير قليل من الفوائد والمنافع، فكان عند أهل الشام أفضل خلفائهم⁴، يقول في ذلك¹:

¹ ينظر: خليل مردم بك، الشعراء الشاميون، 31.

² المسعودي، مروج الذهب، 166/3.

³ عدي بن الرقاع، الديوان، 172.

⁴ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 496/6.

البسيط

فَأَحْسَنَ الصَّنْعَ بِنَاءُوكَ وَارْتَفَعُوا
كَسَوَهُ مِنْ عَمَلِ الصَّنَاعِ مُلْتَهِقًا
كَأَنَّهُنَّ قِيَاسُ الصَّيْفِ إِذْ طَرَدَتْ
إِذَا حَدَّتْ قُرْحٌ مِنْهُ سَحَابَتُهَا
فَوْقَ الَّذِينَ تَغَنَّوْا فِيهِ أَرْمَانًا
يَكَادُ يَخْتَطِفُ الْأَبْصَارَ عَقِيَانًا
كَنَهْورًا فَزَحْتُهُ الرِّيحُ رِيَانًا
رَأَيْتَ مِنْهُ مَعَ الشُّؤْبُوبِ أَلْوَانًا

وأثنى الشاعر على الأعمال التي قام بها الوليد خدمة للإسلام والمسلمين، فهو الناصر لدين الله، الذي يدافع عنه، ويهزم أعداءه، يقول عدي²:

الطويل

مَدَحْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي دَعَا
فَمَا زِلْتَ مُذْ وَلَاكَ رَبُّكَ أَمْرَهُمْ
دَفَعْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَنْهُمْ عَدُوَّهُمْ
وَإِلَيْهِ وَخَيْرُ النَّاسِ عَنْ دِينِهِمْ دَفَعَا
كَأَخِيرِ رَاعٍ فِي رَعِيَّتِهِ صَنَعَا
وَجَرْدَاءَ لَمْ تَتْرُكْ نِتَاجًا وَلَا ضَرَعَا

وفي قصيدة أخرى يقول³:

البسيط

فَأَظْهَرَ اللَّهُ نَصْرَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
وَعَلَّقَ اللَّهُ أَسْبَابَ الْأُمُورِ بِهِ
وَكُلُّ فَاحِشَةٍ عَنْ دِينِهِمْ دَفَعَا
وَلَمْ يُطِقْ حَامِلٌ فَوْقَ الَّذِي اضْطَلَعَا

واستطاع الوليد بن عبد الملك أن يفتح البلاد، وتوسعت أركان الدولة الإسلامية توسعةً لم يشهد لها التاريخ الإسلامي مثيلاً منذ عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففي عهده فتحت الأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير، وكان عبد الملك قضى على الفتن الداخلية ونشر الأمن في ربوع الوطن، فكان عهد الوليد أكثر ازدهاراً ورخاءً، وهو من أكثر خلفاء بني أمية حماية

¹ عدي بن الرقاع، م.س، 173. الملتحق: البراق، (اللسان، مادة، لهق)، العقيان: ذهب ينبت نباتاً وليس مما يستذاب ويحصل من الحجارة، وهو الذهب الخالص، (اللسان، مادة، عقا)، قياس: جمع قوس، يعني قوس قزح، في إشارة إلى النمط المعماري للأمويين في إنشاء النوافذ الملونة، (اللسان، مادة، قوس)، الكنهور: السحاب المتراكم، (اللسان، مادة، كنه).
² عدي بن الرقاع، الديوان، 223.
³ عدي بن الرقاع، م.ن، 221.

للثغور، ففي سنة ثمانٍ وثمانين للهجرة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد الطَّوَّانَةَ¹ في عهد الوليد بن عبد الملك، وهزم الروم في هذه المعركة².

وفتحت الطَّوَّانَةُ وهي أعظم حصونهم، وافتحتها أصبحت الطريق مفتوحةً أمام جيوش المسلمين إلى القسطنطينية³، فقال عَدِيّ بن الرَّقَّاع مبتهجاً بهذا النصر⁴:

البيسط

وَكَانَ أَمْرُكَ فِي أَهْلِ الطَّوَّانَةِ مِنْ
أَمْرًا شَدَّدْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَقْدَتَهُ
نَصْرَ الَّذِي فَوْقَنَا وَاللَّهُ أَعْطَانَا
فَزَادَ فِي دِينِنَا خَيْرًا وَدُنْيَانَا
وَكَانَ بَزَّةٌ مَا أُعْطِيتَ مِنْ حَسَنِ
نَصْرًا عَزِيزًا وَتَثْبِيثًا وَبُرْهَانًا

وكان عَدِيّ شديد الولاء لبني أمية، فاتخذ سياستهم منهجاً له دافع عنه، ومدائحه في الوليد تعد من أجمل شعره وأحسنه، فبين في مدائحه شجاعة الوليد وإصلاحاته وصفاته الإسلامية، وبين أن الأمة ألفت إلى الوليد مقاليد أمرها فقادها وجمع شملها ونصر المظلومين⁵، يقول في ذلك⁶:

الكامل

أَوْلَا تَرَى أَنَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وُلاكَهَا
أَلَقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا
مَنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا
عَمَّرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلَتْ
وَنَفَيْتَ عَنْهَا مَنْ يُرِيدُ فَسَادَهَا

واستأثر الوليد بن عبد الملك بأروع مدائح عَدِيّ بن الرَّقَّاع، فأضفى عليه أحسن الصفات، وتحدّث عن مقومات شخصيته التي أعدته للفوز بالخلافة، وأثنى عليه شاكراً له عطاياه، حامداً نعمه

¹ الطَّوَّانَةُ: من ثغور سورية.

² الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 436/6.

³ فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، 70/2.

⁴ عَدِيّ بن الرَّقَّاع، الديوان، 174. بَزَّة: الهيئة، اللبسة، (اللسان، مادة، بز).

⁵ تحسين محمد الصلاح، عَدِيّ بن الرَّقَّاع: حياته وشعره، 54.

⁶ عَدِيّ بن الرَّقَّاع، م.س، 91. خزائمها: جمع خزامة، وتعني حلقة من شعر توضع في أنف البعير، وتعني هنا الانقياد والطاعة، (اللسان، مادة، خزم).

التي نثرها على رعيته، معظماً صدقه في معاملته ووفائه بوعوده،... فكان الوليد في نظره أكرم الناس على الإطلاق، عمّ كرمه الرعية كلها فلم يمنع أحداً، ولم يبخل على أحد¹، يقول²:

البيسط

لَقَدْ مَدَحْتُ رِجَالاً صَالِحِينَ فَأَمَّ م مَا أَنْ يَنَالُوا كَمَا نَالَ الْوَلِيدُ فَلَا
هُوَ الْفَتَى كُلُّهُ مَجْدًا وَمَكْرَمَةً وَكُلُّ أَخْلَاقِهِ الْخَيْرَاتِ قَدْ كَمَلَا

وختم عديّ بن الرقاع بعضاً من قصائده التي مدح فيها الوليد بالحمد والثناء على الخليفة، لأنه ولي أمر المسلمين واستخلفه فيهم، فشكروا الله على نعمائه³:

الكامل

فَالْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ لِلَّهِ الَّذِي جُعِلَتْ كَرَامَتُهُ إِلَيْكَ تَوَلُّوْا

ويقول⁴:

البيسط

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ أَنْ يُجَارِيَهُ فَمَنْ تَكَلَّفَ أَمْرًا بَعْدَهُ نَزَعًا
أَثْبِي عَلَيْهِ وَلَا أَحْصِي فَوَاضِلَهُ وَتَنْتَهِي مِدْحَتِي بَعْدَ الَّذِي صَنَعَا

وأحياناً كان يختتمها بالدعاء للخليفة أن يجزيه خيراً عن قيامه بشؤون الرعية، يقول⁵:

الطويل

فَزَادَكَ رَبُّ النَّاسِ عَدًّا لِفَضْلِهِ وَفِي كُلِّ مَا أَعْطَاكَ مِنْ سَيِّمَةٍ وَسُعَا

3. سليمان بن عبد الملك

¹ تحسين محمد الصلاح، م.س، 72.

² عديّ بن الرقاع، م.س، 79-81.

³ عديّ بن الرقاع، الديوان، 209.

⁴ عديّ بن الرقاع، م.ن، 221.

⁵ عديّ بن الرقاع، م.ن، 225.

لم نعثر في الديوان على قصيدة كاملة لعديّ بن الرقاع في مدح سليمان بن عبد الملك (ت 99 هجرية)، بالرغم من أنه عاصره، فعديّ بن الرقاع مدح عمر بن عبد العزيز -كما سنرى في ما بعد- وسليمان بن عبد الملك تولى الخلافة قبل عمر بن عبد العزيز، بمعنى أنه لربما قال فيه شعراً، ولكنه ضاع مع ما ضاع من أشعار، أو لربما أن عديّاً كان ساخطاً على سليمان فلم يقل فيه شعراً، أو أن الخليفة طرد الشاعر من مجلس الخلافة لبيت شعر عاتبه عليه الخليفة.

وقد روي أنه لما "ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن أن اجمع يدي عديّ بن الرقاع إلى عنقه، وابعث به إليّ على قتب بلا وطاء، ووكل به من ينخس به، ففعل ذلك، فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك ألقى بين يديه لا روح فيه فتركه حتى ارتدت إليه روحه ثم قال: أنت أهل لما نزل بك، ألسنت القائل في الوليد¹:"

البسيط

مَعَاذُ رَبِّيَ أَنْ نَبَقِيَ وَنَفَقَدُهُ وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعِ بَعْدَهُ تَبَعًا

قال عديّ: لا والله يا أمير المؤمنين ما هكذا قلت، وإنما قلت:

البسيط

مَعَاذُ رَبِّيَ أَنْ نَبَقِيَ وَنَفَقَدُهُمْ وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعِ بَعْدَهُ تَبَعًا

فنظر إليه سليمان واستضحك، وأمر له بصلة، وخطّى سبيله².

وهذا الخبر يدلّ دلالة واضحة على سُخط سليمان بن عبد الملك على عديّ بن الرقاع وترويعه له، فلم يحظّ عديّ عنده بمكانة مرموقة، ولم يصل إلينا من أخباره معه إلا القليل، وما وصل إلينا يدلّ على أن سليمان لم يحفل به كما حفل به أخوه الوليد³. وربما كانت هذه الحادثة؛ التي تصف غلظة سليمان رادعاً لعديّ بن الرقاع من أن يرتاد قصور الخلفاء بعد الوليد الصديق الحميم لابن الرقاع، فانقطع عن الحضور إلى مجلس الخلافة وتوقف عن مديح الأمويين.

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 220، وورد في الديوان "عذنا برب العرش أن نحيا ونفقده".

² ابن عبد ربه، العقد الفريد، 42/2.

³ تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع: حياته وشعره، 59.

والغالب أن سليمان بن عبد الملك وبَّخَ عَدِيًّا على شعره عندما تولَّى الخلافة، فقد روى أبو الفرج أن الفرزدق وجريراً وكثيراً وعَدِيَّ بن الرِّقَاع اجتمعوا عند سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم

شيئاً حسناً، فبدرهم الفرزدق فقال أبياتاً من الشعر، فقال سليمان: لا تتطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالاً¹، فهذا سليمان يدعو كبار الشعراء في مجلسه لقول أشعارهم في الفخر، فبذلك يكون غير عَدِيٍّ من الشعراء هو المقرب إلى نفس الخليفة سليمان بن عبد الملك، ولربما كانت دعوة سليمان عَدِيًّا للحضور إلى مجلس الخلافة من أجل السخرية منه ومن شعره، إذ فضل الفرزدق عليه وعلى غيره، وبهذه الحادثة انقطع عَدِيٌّ من الحضور لمجلس الخلافة.

وأحياناً كانت العلاقة ودية بين عَدِيٍّ والخليفة، فيروى أن سليمان بن عبد الملك "طلب من عَدِيٍّ أن ينشده قوله في الخمر، فقال عَدِيٌّ²:

الكامل

كُمَيْتٌ إِذَا شَجَّتْ فِي الكَاسِ وَرَدَّةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبٌ
تُرِيكَ القَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ لَوَجْهِ أَخِيهَا فِي الإِنْيَاءِ قُطُوبٌ

فقال عدي بن الرقاع لسليمان شربتها ورب الكعبة، فقال عَدِيٌّ: والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها قد رابني معرفتك بها، فتضحكا، وأخذا في الحديث³. فهذه الحادثة وإن اختلفت الروايات على القائل فإنها -إذا جزمنا القول إنها لعَدِيٍّ- تدل على أن علاقته بسليمان كانت علاقة ودية وحميمية.

4. عمر بن عبد العزيز

¹ ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 352/21. وينظر: حسن محمد نور الدين، عَدِيٌّ بن الرِّقَاع أفضل من وصف ظيباً وعيني امرأة، 13.

² عَدِيٌّ بن الرِّقَاع، الديوان، 275. في الشعر المنسوب إليه ولغيره من الشعراء، ونسب هذان البيتان للأقيشر الأزدي.

³ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 35-36.

نال عمر بن عبد العزيز حُظوة من شعر عَدِيّ بن الرِّقَاع في ديوانه، فقد مدحه الشاعر بقصيدتين¹، وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة تسع وتسعين هجرية، وتوفي في السنة الأولى بعد المائة، أي بعد عامين من توليه الخلافة، فهو آخر الخلفاء الذين يروى لعَدِيّ شعر عنهم.

ولما ولى عمر الخلافة صعد المنبر، وقال خطبة دعا فيها بعدة أمور جعلت الشعراء يُحجمون عن قول الشعر²، فقد عرف عنه الورع والتقوى، ولم يكن يحبُّ مجالسة الشعراء ومنافقتهم، وإنما كان يسمح للقراء والفقهاء وأهل الدين فقط، وإذا دخل عليه أحد الشعراء كان يقول له: قل ولا تقل إلا حقاً، فإن الله سائلك يوم القيامة عما قلت³، فعرف عَدِيّ بن الرِّقَاع هذه الخصلة لدى عمر بن عبد العزيز فاستطاع أن يغير من أسلوب الشعر لديه، فكانت أشعاره مغايرة لما كان فيما سبق، يقول في إحدى قصائده⁴:

الطويل

فَكُنْ عُمْرًا تَأْتِي وَلَا تَعْدُوْنَهُ	إِلَى غَيْرِهِ وَاسْتَخْبِرِ النَّاسَ وَافْهَمِ
فَتَيَّ حُجِبَتْ عَنْهُ الْفَوَاحِشُ كُلُّهَا	فَمَا اخْتَلَطَتْ مِنْهُ بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ
غَدَا طَيِّبَ الْأَثْوَابِ يَنْفَحُ عَرْضُهُ	مُبِينًا لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
شَدِيدًا عَلَى ذِي الضَّغْنِ حِينَ يُرِيْبُهُ	دَفُوعًا عَنِ الْمُسْتَضْعَفِ الْمُتَهَضِّمِ

فكان عَدِيّ بن الرِّقَاع يشعر بما يريده الممدوح فيأتيه من الباب الذي يهواه، فجاءت أشعاره في عمر بعيدة كل البعد عن المدح الكاذب والنفاق والتملُّق، فنال حظوته عند الخليفة، فقد روى الزمخشري أن عَدِيًّا وفد على عمر بن عبد العزيز فلم يُؤذَن له، فقال للآذن: أعلِّم أمير المؤمنين أني قلت شعراً أوله الحمد لله، فأذن له⁵. فدخل عَدِيّ على عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عَدِيّ مالي وللشعراء قال: أعز الله أمير المؤمنين،

¹ قال شارح الديوان إنه حبرها سنة كاملة، وكان الأصمعي يقول لأصحابه ألا أنشدكم حولية عَدِيّ. (ينظر: عَدِيّ بن الرِّقَاع، الديوان، في التقديم للقصيدة الواحدة والعشرين، 197).

² ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/117.

³ ينظر: تحسين محمد الصلاح، عَدِيّ بن الرِّقَاع: حياته وشعره، 80.

⁴ عَدِيّ بن الرِّقَاع، الديوان، 134، نسبت هذه الأبيات في بعض كتب الأدب لعَدِيّ بن الرِّقَاع في مدح عمر بن هبيرة، وفي الديوان في مدح عمر بن عبد العزيز.

⁵ الزمخشري، ربيع الأبرار، 3/243.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى، ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة¹، فقال²:

الطويل

مَدَحْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي اصْطَفَى	لَنَا رَبُّنَا فَضْلاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
بَنَى الْحَمْدُ فِيهِ فَارْتَقَى فِي مُشْرِفٍ	رَفِيعٍ مِنَ الْبُنْيَانِ لَمْ يَتَلَمَّ
فَمَا فِي بَنِي حَوَاءَ فَرَعٌ يَفُوقُهُ	بِفَاضِلَةِ دُونَ النَّبِيِّ الْمُكْرَمِ
فَمَا كَانَ بَابُ الْحَمْدِ حَتَّى لَقِيْتُهُ	بِأَخْرَسٍ مَكْنُونٍ وَلَا بِمُصْتَمِّمِ

على هذا الشكل جاءت مدائح عدي بن الرقاع في عمر بن عبد العزيز، منوهاً فيها بالصفات الإسلامية التي اتصف بها، وأثنى على سيرته الحسنة وسياسته الحكيمة، يقول في موضع آخر من القصيدة ذاتها³:

الطويل

جَمَعْتَ اللَّوَاتِي يَحْمَدُ اللهُ عَبْدَهُ	عَلَيْهِنَّ فَلَيْهِنََّا لَكَ الْخَيْرُ وَاسْلِمِ
فَأَوْلُهُنَّ الْبِرُّ وَالْبِرُّ غَالِبٌ	وَمَا بِكَ مِنْ غَيْبِ السَّرَائِرِ يُعْلَمِ
وَتَائِيَّةٌ كَانَتْ مِنْ اللهِ نِعْمَةً	عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذْ إِنَّهُ خَيْرٌ مُنْعَمِ
وَتَالِثَةٌ أَنْ لَيْسَ فِيكَ هَوَادَةٌ	لِمَنْ رَامَ ظُلْمًا أَوْ سَعَى سَعَى مُجْرِمِ
ورابعةٌ أَنْ لَا تَزَالَ مَعَ التَّقَى	تَحْتُ بِمِيمُونَ مِنْ الْأَمْرِ مُبْرَمِ
وخماسةٌ فِي الْحُكْمِ أَنْكَ تُنْصِفُ الضَّ	عِيفَ وَمَا مِنْ عِلْمِ اللهُ كَالْعَمِي
وسادسةٌ أَنْ الَّذِي هُوَ رَبُّنَا اصْ	طَفَاكَ فَمَنْ يَتَّبِعُكَ لَمْ يَتَنَدَّمِ
وسابعةٌ أَنْ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا	سَبَقَتْ إِلَيْهَا كُلَّ سَاعٍ وَمُلْجَمِ
وثامنةٌ فِي مَنْصِبِ النَّاسِ أَنَّهُ	سَمَا بِكَ مِنْهُمْ مُعْظَمٌ فَوْقَ مُعْظَمِ
وتاسعةٌ أَنْ الْبَرِّيَّةَ كُلَّهَا	يَعْدُونَ سَيِّئًا مِنْ إِمَامٍ مُتَمِّمِ
وعاشرةٌ أَنْ الْحُلُومَ تَوَابِعُ	لِحَلْمِكَ فِي فَضْلِ مِنَ الْقَوْلِ مُحْكَمِ

¹ ابن كثير، البداية والنهاية، 290/9.

² عدي بن الرقاع، م.س، 129-130. مصتم: ما عظم واشتد. (اللسان، مادة، صتم).

³ عدي بن الرقاع، الديوان، 130-131.

فقد أبرز في هذه الأبيات برّه برعيته، ومحاسبته للظالم، وإنصافه للمظلوم، ومساعدته للضعفاء، وأشاد بتقواه، فهو المصطفى من الله تعالى لينشر العدل بين الناس، وهو حلیم حاز كل المكارم التي يُحمد المرء عليها، وعدّد في هذه القصيدة خصلاً عَشراً يتصف بها الخليفة العادل والمنصف والحليم والكریم، بلغة واضحة وأسلوب محكم رصين.

والاختلاف واضح في الأسلوب بين القصائد التي مدح فيها عمر بن عبد العزيز وتلك التي مدح بها الوليد بن عبد الملك وقبله عبد الملك بن مروان، وما كان هذا الاختلاف إلا لتغير نمط الحكم عند عمر بن عبد العزيز عن غيره من خلفاء الأمويين، وأثر هذا التبدل على الشعراء لديه، فقد كان الشاعر يثني على الشاعر بما يحب من صفات إسلامية في شخص الخليفة، فقد بيّن عديّ بن الرّقاع في نواحي قصائده أن عمر بن عبد العزيز متبع لمنهج جده عمر بن الخطاب، وسار في الناس سيرة حسنة، فعمّ العدل في الرعية، وشمل الرخاء أرجاء الدولة الإسلامية.

وقال في قصيدته الثانية¹:

الطويل

أجَدَّ أبو حَفْصٍ بنا السَّيْرَ وَارْتَمَتْ	بنا الأرضُ حتَّى ما تُعدُّ المسائرُ
فسارِ بِعُظْمِ الجِيشِ لَيْسَ يروَعُهُ	مضيقٌ ولا نَهْرٌ من الماءِ غامرُ
يَخوضُ بنا أرضَ العَدُوِّ فَتَى لَهُ	مَأْتِرُ لا تَجْزِي بِهِنَّ مَأْتِرُ
رَمَى بالسَّرايا كُلَّ ثَغْرِ وَقادَها	هُوَ الرَّأْسُ يَهْدِينا وَنَحْنُ الأَباهِرُ
غَزَا عُمَرُ المَنْصُورُ نَفْساً ووالها	وليسَ لِمَنْ لَمْ يَنْصُرِ اللهُ ناصِرُ
وعَسَكَرَ جَنباً ما يُرِيمُ مَكَانَهُ	بِأَرْضِ فَضَاءٍ وَهُوَ لِلرُّومِ وائِرُ
فَنَعَمَ إِمَامُ القَوْمِ إِنْ كانَ غازِيّاً	وَنَعَمَ الفَتَى في أَهلِهِ والمُساوِرُ

فهنا يتحدث عن تسيير عمر بن عبد العزيز الجيوش بقيادة مسلمة بن عبد الملك نحو بلاد الروم، ليغزوهم بعد أن اعتدوا على أرض المسلمين، عندما أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين².

¹ عديّ بن الرّقاع، الديوان، 199-201، وقال جامع الديوان إن الأصمعي كان يقول لأصحابه: ألا أنشدكم حولية عديّ. واله: التكلّي الحزينة على فقد ولده، (اللسان، مادة، وله)، حيث قام عمر بن عبد العزيز بالانتصار لها.

² الأصفهاني، الأغاني، 209/9.

وفي إحدى القصائد التي وردت في الديوان جاءت معنونة في مدح عمر بن الوليد، ونسبت في بعض كتب التاريخ لعمر بن عبد العزيز، ولربما اشتبه الأمر على الرواة، لأن عمر بن عبد العزيز كان يكنى بأبي حفص، وعمر بن الوليد كذلك كان يكنى بالكنية نفسها، والواضح أنها في مدح عمر بن الوليد لأنه افتتحها بالمقدمة الطللية والغزل¹.

وورد بيتان شعريان في ذيل الديوان نسبا لعدي بن الرقاع في مدح عمر بن عبد العزيز، وجاء على النمط نفسه في الأشعار المدحية في عمر بن عبد العزيز²:

البيسط

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ فَقَدْ أَتَتْكَ بِنَا الْأَحْدَاثُ وَالْغَيْرُ
وَأَنْتَ رَأْسُ فُرَيْشٍ وَابْنُ سَيْدِهَا وَالرَّأْسُ يُجْعَلُ فِيهَا السَّمْعُ وَالْبَصْرُ

كأن عدي بن الرقاع قالها عندما تولى عمر الخلافة، فقد افتتحها بأسلوب الخطبة (الحمد لله، أما بعد)، ثم مدحه، مثلما أورد الزمخشري³، ولكن هذه القصيدة لربما ضاعت كغيرها من القصائد في الديوان، فلم يرد سوى هذين البيتين في ملحق الديوان.

ثانياً: الأمراء

1. عمر بن الوليد بن عبد الملك

لم تقتصر علاقة عدي على الوليد وحده، بل اتصل بأبنائه⁴ عمر بن الوليد وعبد العزيز بن الوليد، واستطاع عمر بن الوليد أن يتقاسم الحصة الكبرى مع حصة أبيه الوليد في الديوان؛ حيث مدحه في ست قصائد مما مجموعه تسع وعشرون قصيدة، وبذلك تكون قصائد المديح التي جمعت الوليد بن عبد الملك وابنه عمر بن الوليد ست عشرة قصيدة من الديوان.

¹ انظر القصيدة الثامنة في الديوان، 115، سنمر بها في أثناء الحديث عن الأشعار التي قيلت في عمر بن الوليد.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 254.

³ الزمخشري، ربيع الأبرار، 3/ 243.

⁴ تحسين محمد الصلاح، عدي بن الرقاع: حياته وشعره، 57.

وقد كانت له علاقة طيبة بابنه عمر، وكان يحضر مجالسه، قال الصولي: "قال عدي بن الرقاع: ما أسمعت عمر بن الوليد بن عبد الملك مديحاً قط إلا كدت أسمع حديث نفسه بحيائي، قال: فوالله إني بعد هذا الحديث لفي مجلس عمر، إذ دخل عليه عدي، فأنشده شعراً فيه، فدعا مولى له فقال: هات نقيضة هذه القصيدة، فظننت أنه ينشده شعراً، فأنتى ببدره فيها عشرة آلاف درهم، فدفعها إليه"¹، ولهذه العلاقة الودية لعمر بن الوليد قال فيه عدي²:

الطويل

أحبرُ قولاً لن يُحبرَ مثله لهُ صاحبٌ غيري ولو كان مغرباً
قوافي لو كانت من البر لم تُبع ولم تُكس إلا ذا تمامٍ مجرباً
ثناء امرئٍ إن نال خيراً جزى به وليس على ما فاتهُ متحوباً

وأكثر ما مدح عدي بن الرقاع عمر بن الوليد نسبة الشريف، فعمر نما إلى الحساب الرفيع من قريش، وتميز بصفات الكرم والجود والعطاء، والقوة والشجاعة عند القتال، يقول عدي³:

البيسيط

نمّا إلى السورة العليّا اليفاع فمّا زلت به نعلهُ يوماً ولا القدمُ
حتّى اجنّبي بـمكانٍ تستقيدُ له عمائمُ العربِ المذكورة العظمُ
كانت لأبائهم مذكورة زحموا عنها قروم قريش ساعة ازدحموا

ويقول في موضع آخر⁴:

الوافر

ألست إذا نسيت فتى قريش وأكرمها وأفضلها رجّالا
أبت لكم مواطن طيبات وأحلامكم تزن الجبالا
وقد علمت قريش أن فيكم سيوفاً حين يحضر القتالا

وكان عدي مهتماً بنسب عمر بن الوليد، فقد جمعه وأباه الوليد وجده عبد الملك وجدّ جدّه مروان في بيت من الشعر دلالة على اهتمامه بالأمويين كلّهم، فيشير في شعره إلى ذلك¹:

¹ الصولي، أخبار أبي تمام، 251.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 230-231.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 119.

⁴ عدي بن الرقاع، م.ن، 112-113.

الكامل

وَإِذَا رَأَيْتَ جَمَاعَةً هُوَ فِيهِمْ بَيَّنَّتْ سُودَدَهُ وَإِنْ لَمْ تَسْأَلِ
أَلْفَى أَبَاهُ وَجَدَّمُ وَأَبَاهُمَا مَرُونَ فِي الشَّرَفِ الرَّفِيعِ الْأَطْوَلِ

ومدح عمر بن الوليد بقصيدة شبهه بالبدر الذي يبدد الظلام، وهي صورة تقليدية سبقه إليها الشعراء، وذكر أن الخصال الحميدة التي يتمتع بها تحدرت إليه من أبيه، يقول²:

الكامل

عُمْرُ الَّذِي جَمَعَ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا وَابْنُ الْخَلِيفَةِ أَفْضَلِ الْخُلَفَاءِ
وَالْأَصْلُ يَبْتُ فَرَعُهُ مُتَنَايِلًا وَالْكَفَّ لَيْسَ بَنَانُهَا بِسَوَاءِ
مَا إِنْ رَأَيْتُ جِبَالَ أَرْضٍ تَسْتَوِي فِيمَا غَشِيَتْ وَلَا نُجُومَ سَمَاءِ
وَالْمَرْءُ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ وَيَمُوتُ آخِرُ وَهُوَ فِي الْأَحْيَاءِ

ويتحدث الشاعر عن نسب عمر بن الوليد لأمه، فقد كان أحوال عمر من اليمانيين وبالأخص من قبيلة كندة اليمانية، ولربما كان هذا هو سبب اهتمام عديّ بأبناء الوليد، يقول عديّ مادحاً عمر³:

المتقارب

وَسَادَةُ كِنْدَةَ أَخْوَالُهُ أَلْ م مَلُوكٌ فَلَيْسَ ابْنُهُمْ يَخْلِفُ
فَأَصْبَحْتَ أَنْتَ فَتَى النَّاسِ حَيْبُ م نَ تَذَكُرُ أَحْسَابُهَا خِنْدَفُ

ويقول في موضع آخر⁴:

الطويل

تَقُولُ وَإِعْلَانُ الْعِتَابِ مَلَامَةٌ أَلْجَمَعْتَ هُجْرَانًا لَنَا وَتَجَنَّبَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلْ تَأَلَّفَنِي امْرُؤٌ وَوَرِيُّ الزَّنَادِ يَحْسِبُ الْحَمْدَ مِنْهَا

¹ عديّ بن الرقاع، م.ن، 71.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 162 - 163.

³ عديّ بن الرقاع، م.ن، 214.

⁴ عديّ بن الرقاع، م.ن، 230.

يَرَى الْمَالَ لَا يَبْقَى لِمَنْ كَانَ مَانِعًا وَمَا الْمَالُ إِلَّا مُسْتَعَادٌ لِيَذْهَبَا
أَبُوهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأُمُّهُ بِحَجْرِ بْنِ عَمْرٍو خَيْرِ كِنْدَةَ مَنْصِبًا
نَمَاهُ أَبُو الْعَاصِي وَعَمْرٍو تَلَاقِيَا فَأَكْرَمُ بِذَا خَالًا وَأَكْرَمُ بِذَا أَبَا

وأورد عدي بن الرقاع مجموعة من الحكم في قصيدته، ليثبت أن عمر ورث المجد والعز عن والده، ونلاحظ أنه لم يدخل السياسة في مديحه له مقارنة بمدح أبيه الوليد، بل اكتفى بالإشارة إلى جمال ممدوحه وحسن منظره وعراقة أصله ونسبه، فاختلف مديحه له عن مديح لأبيه¹، لأن الوليد كان الخليفة ولم يكن عمر كذلك، يقول²:

الكامل

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي ضَنًّا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ
تَسْمُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ حِينَ يَرِيئُهُ كَالْبَدْرِ فَرَجَّ طَخِيَّةَ الظُّلْمَاءِ

2. عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك

لم يرد في الديوان إلا مجموعة من الأبيات في تهنئة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، وهي تدل على إيثار المروانيين للشاعر ورعايتهم له³، "فحين تزوج عبد العزيز أم حكيم في حياة جده عبد الملك بن مروان أمر بإدخال الشعراء ليقولوا في زواجهما أشعاراً يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع، فدخلا عليه وبدأ عدي لموضعه⁴، فقال⁵:

السريع

قَمْرُ السَّمَاءِ وَشَمْسُهَا اجْتَمَعَا بِالسَّعْدِ مَا غَابَا وَمَا طَلَعَا
مَا وَارَتْ الْأَسْتَارُ مِثْلَهُمَا مَنْ ذَا رَأَى هَذَا وَمَنْ سَمِعَا
دَامَ السُّرُورُ لَهُ بِهَا وَلَهَا وَتَهَنَّى طُولَ الْحَيَاةِ مَعَا

¹ تحسين محمد الصلاح، عدي بن الرقاع: حياته وشعره، 78.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 162.

³ تحسين محمد الصلاح، م.س، 57.

⁴ الأصفهاني، الأغاني، 209/16.

⁵ عدي بن الرقاع، م.س، 257.

فأمر عبد الملك لجرير بعشرة آلاف درهم ولعديّ بن الرقاع بمثلها¹.

3. الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية

ورد في الديوان قصيدتان يمدح عدي بن الرقاع بهما الأمير الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكان يكنى أبا ليلي، والأسوار هو لقب ليزيد؛ لأنه كان من أرمى العرب، وسماه ابن كثير عبد العزيز ابن يزيد²، يقول عديّ فيه³:

الخفيف

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ خَيْرَ قُرَيْشٍ	حَسَبًا حِينَ تُنْسَبُ الْأَسْوَارُ
بَيْنَ حَرْبٍ وَعَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ	فَأَلَالَ الْأَكَارِمُ الْأَخْيَارُ
وَلَدَتْهُمْ حَوَاضِنٌ مُنْجِبَاتٌ	وَأَلَالَ حَوَاضِنُ الْأَحْرَارُ
فَهُمُ الْقَوْمُ سُودِدًا وَفَعَالًا	وَنَدَى حِينَ تُبْتَلَى الْأَخْبَارُ

وقد نزل عديّ بن الرقاع عند الأسوار كسيرا، وذلك عندما نزل عن مطيته في الليل ومشى بعد أن أعيأ من الركوب، ف وقعت رجله في جحر من جحور اليرابيع فانكسرت، فأنزله رجل بالأسوار، فأحسن إليه ودأواه، وحباه بفرس وعشر من النوق، وبقي عديّ أعرج مدة حياته⁴، وصور هذه الحادثة شعرا يقول⁵:

البسيط

لَقَدْ تَبَاشَرَ أَعْدَائِي بِمَا لَقِيتُ	رَجُلِي وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ عَثْرَا
يَنْعُونَ صَدْعًا بِظُنْبُوبِي كَأَنَّهُمْ	يَنْعُونَ سَيِّدَ قَوْمٍ صَادَفَ الْقَدْرَا
يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ إِنِّي قَدْ تَأَوَّبَنِي	هَمَّ أَعَانَ عَلَيَّ السُّقْمَ وَالسَّهْرَا

¹ الأصفهاني، م.س، 206/16.

² ابن كثير، البداية والنهاية، 661/11.

³ عديّ بن الرقاع، الديوان، 184-185.

⁴ عديّ بن الرقاع، م.ن، مقدمة القصيدة التاسعة عشرة، 186.

⁵ عديّ بن الرقاع، م.ن، 190.

دَاوَيْتَ ضَيْفَكَ حَتَّى قَامَ مُعْتَدِلًا
وَرَشْتَهُ فَرَأَهُ النَّاسُ قَدْ جُبِرًا
بِالْبَرِّ وَالْفَرَسِ الْحَسَنَاءِ مَوْهَبَةً
وَبِاللَّقَاحِ الصَّفَايَا تَحْلِبُ الدَّرَارَا
فَإِنَّ بَحْرَكَ لَا تَجْرِي الْبُحُورُ بِهِ
وَإِنَّمَا أَنْتَ غَيْثٌ طَالَمَا مَطَرَا

ويظهر لنا من استعراضنا مدائح عديّ في بني أمية أنه في حبه وولائه وإخلاصه لهم كان أمويًا مسرفًا في أمويته، وفيما لهم بل كان من شعرائهم المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيع لهم، فجاء تبجيله لخلفائهم، وإعجابه بسياستهم لرعيتهن وتمجيده لمواقفهم الصارمة من أعدائهم وانتصاره لهم، ودفاعه عن حقهم في الخلافة، مطابقاً لرأيه فيهم، وتأييده لهم، لأنهم ساسوا الأمة أحسن سياسة، وقادوها أحسن قيادة¹.

¹ تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع: حياته وشعره، 81.

المبحث الثاني: الأغراض الشعرية الأخرى

أولاً: غرض الفخر

انصب شعر الفخر عند عديّ بن الرقاع في اتجاهين: الاتجاه الأول كان يمجّد نسبه ومنزلة قومه وأجداده، والاتجاه الثاني يوضح حسن صنيعه وتجلده في النوازل وصبره على المكاره، ففي فخره القبلي تغنى بعراقة محتده ومكانة قومه العالية، وأخلاقهم الكريمة وأعمالهم الكبيرة¹، يقول في ذلك²:

البسيط

وما فُضَاعَةٌ عَنْ نَصْرِي بِنَابِيَةٍ	إِذَا تَسَامَتَ فُرُومُ النَّاسِ فِي لَبَدٍ
إِخْوَانُنَا حَمِيرٌ تَبْنِي التَّمَامَ لَنَا	وَالْحَمْدُ لَا يُبَيِّنُنِي إِلَّا عَلَى عَمَدٍ
جُذَامُ إِخْوَتِنَا الْأَدْنُونَ قَدْ عَلِمُوا	وَمَا أَخُوهُمْ بِمُضْطَرٍّ وَلَا وَجَدٍ
وَطِيئٌ مَعَشَرٌ نَاءٍ وَمَجْمَعُنَا	أَقْصَى الدِّيَارِ وَأَرْبَاهُمْ إِلَى أَدَدٍ

وفاخر النزارية بيمانيته³، وبين رسوخ قبيلته في قحطان، وتحدّث عن أعمالها في الجاهلية، فذكر حروبها مع أعدائها مشيداً بقوة بأسها وصلابتها في تلك الحروب، وكان من الطبيعي أن تظهر هذه النزعة القبلية في شعره لأنه نشأ في بيئة اشدتّ فيها الصراع والتنافس والتفاخر بين القبائل القيسية واليمانية، وظهرت هذه النزعة عند غيره من شعراء عصره⁴، يقول⁵:

الكامل

قَحْطَانُ وَالذَّنَا الَّذِي نُدْعَى لَهُ	وَأَبُو خَزِيمَةَ خِنْدَفُ بَنُ نِزَارٍ
أَنْبِيْعُ وَالذَّنَا الَّذِي نُدْعَى لَهُ	بِأَبِي مَعَاشِرَ غَائِبٍ مُتَوَارِي

¹ تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع: حياته وشعره، 128.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 176.

³ الأصفهاني، الأغاني، 314/9.

⁴ تحسين محمد الصلاح، م.س، 128.

⁵ عديّ بن الرقاع، م.س، 256.

وأفرد في الديوان قصيدة خصصها للفخر بقبيلته وما قامت به من الحروب¹، يقول²:

الطويل

وإِنَّا إِذَا زَارَ الْعَدُوَّ دِيَارَنَا سَقَيْنَاهُ شُرْبًا ذَا سِمَامٍ وَعَقْمًا
وَرَأْسُ خَمِيسٍ قَدْ رَمَانَا فَعَادَرَتْ سِلَاحُ كُمَاتِي لَحْمِهِ مُتَقَسَّمَا
وَنَحْنُ فَكَّكْنَا لِأَمْرِ الْقَيْسِ خَالَهُ فَلَمْ نَسْتَنْتِهِ مُدَّ فَكَّكْنَاهُ دِرْهَمًا
وَنَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَنْيْفٍ وَرَهْطِهِ بِأَرْمَاحِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مُعْظَمًا
تَتَاوَلَ نَعْمَانُ بْنُ عَقْفَانَ بِأَسْنَا فَزَارَ الْقُبُورَ إِنَّهُ كَانَ مُحْرَمًا

وشكاً عديّ بن الرقاع من اغترابه عن وطنه، فهو يسكن هو وقبيلته في الشام، فكان حينه دائماً يراوده، مفتخراً بأقربائه وقوتهم وشدتهم، يقول³:

الخفيف

وَكُمَاةٌ كَسَنَهُمُ الْحَرْبُ بِيضًا وَسَرَائِيلُ كُسِّرَتْ لِلضَّرَابِ
مِنْ بَنِي قَاسِطٍ وَأَبْنَاءِ زُهْدٍ ذَانِكَ الْمَخْلَبَانِ ظُفْرِي وَنَابِي
طَوْتُ طَلْتِي إِلَى أَرْضِ قَوْمِي وَشَجَاهَا تَقَلَّبِي وَاغْتِرَابِي

وتحدث عديّ عن نصره بني قومه لبني أمية، وما قاموا به من أعمال جليلة دفاعاً عن المسلمين والإسلام، وما بذلوه من أجل جمع كلمة المسلمين تحت لواء بني أمية، وأشاد بنصرتهم لعبد الملك بن مروان في معاركه مع الزبيرية⁴، يقول في قتالهم لأعداء المسلمين ومنعهم الثغور الشامية⁵:
الشامية:

الخفيف

أَبْلِغَا قَوْمَنَا جُدَامًا وَلَخْمًا قَوْلَ مَنْ عَزَّهُمْ إِلَيْهِ حَبِيبُ
كَانَ أَبَاؤُكُمْ إِذَا النَّاسُ حَرَبٌ وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ كَانَ الْحُرُوبُ

¹ ينظر القصيدة العشرون في الديوان.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 193 - 194.

³ عديّ بن الرقاع، م.ن، 57. كانت عاملة تقول نحن بنو قاسط بن هنب بن أفصى.

⁴ المسعودي، مروج الذهب، 109/3.

⁵ عديّ بن الرقاع، م.س، 247. الكهاتين: موضع في الشام.

مَنْعُوا الثَّغْرَةَ الَّتِي بَيْنَ حِمَصٍ
وَالكَهَاتَيْنِ لَيْسَ فِيهَا غَرِيبٌ

ثانياً: غرض الهجاء

الهجاء هو نقيض المدح، فكما أن للشاعر مقربين يمدحهم وينصرهم بشعره، أيضاً كان له أعداء يهجوهم ويبين مثالبهم وعيوبهم، وظاهرة التكسب بالشعر تعدُّ من العوامل التي أسهمت في رواج شعر الهجاء وارتقائه كما هو الحال في شعر المديح.

ويرى ابن رشيقي: "أن أجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعاييب، فالهجاء به دون ما تقدّم"¹، ودعا النقاد الشعراء القدماء إلى عدم الإطالة في الهجاء، ونبذ الكلام الفاحش فيه، لأن ذلك أجود وأصوب².

والشاعر عديّ بن الرقاع كان قليل الهجاء، ومعظم من هجاهم من أقرانه من الشعراء، فلم يتطرق لهجاء أعداء بني أمية إلا القليل، وربما ضاعت أشعاره في هجاء أعدائهم، ولم تكن له قصائد كاملة في الهجاء، وإنما عبارة عن أبيات عامة في إطار قصائده المدحيه، مثل أبيات المدح التي قالها في عبد الملك، فقد ضمنها بعض الأبيات في هجاء ابن الزبير، وذلك عندما وصف عبد الله بن الزبير بمنافق أهل العراق، فقال³:

المتقارب

إِذَا مَا مُنَافِقُ أَهْلِ الْعِرَا قِ عُوْتِبَ يَوْمًا فَلَمْ يُعْتَبِ
دَلَفْنَا إِلَيْهِ بِذِي تُدْرَأِ قَلِيلِ التَّقَدُّ لِلْغُيْبِ

وكان الشعراء يتحينون الفرص لهجاء عديّ لأنه كان المقرب من بني أمية، وشاعرهم المفضل، ولا سيما جرير، فلم يكن عديّ على وفاق معه، "فلم يصرح بهجائه وإنما هجاه ضمناً لأن

¹ ابن رشيقي، العمدة، 174/2.

² ابن رشيقي، م.ن، 172.

³ عديّ بن الرقاع، الديوان، 233.

الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وأجمه وحمله على ظهره¹، فعندما أراد أن يهجوّه في مجلس الخلافة منعه الوليد بن عبد الملك من ذلك، يقول جرير²:

الطويل

حَيِّ الْهَدْمَلَةَ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ فَاَلْحُنُوْ أَسْبَحَ قَفْرًا غَيْرَ مَأْنُوسِ

فقد كان جرير معادياً لعديّ بن الرقاع، ولكن عديّاً خاصاً بالوليد مدّاحاً له، فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يجالس أحداً من النزارية، ولا يجلس إلى رجل من أهل اليمن بحيث يقرب من مجلس ابن الرقاع. إلى يأذن الوليد للناس فيدخل، فيقول له الوليد، يا أبا حرزة، اختصتُ عدوك بمجلسك، فقال: إني والله ما أجلس إليه إلا لأنشده أشعاراً تخزيه وتخزي قومه³.

وورد في الديوان⁴ أبياتٌ شعريّة يرد فيها الشاعر على هجاء الراعي النميري⁵ له، فقد جالس عديّ بن الرقاع الفرزدق وجريراً والأخطل وكثير عزة والراعي، وهاجى جريراً والراعي، وحسده كثير وجرير، فقد قال الراعي مهاجياً عديّاً⁶:

البيسط

لَوْ كُنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ يَا ابْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْبَى قُضَاعَةً أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نِزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

فيرد عليه عديّ مهاجياً بقوله⁷:

¹ الأصفهاني، الأغاني، 308/9.

² جرير، الديوان، 122.

³ الأصفهاني، الأغاني، 335/2.

⁴ عديّ بن الرقاع، الديوان، 175.

⁵ الراعي النميري، من كبار الشعراء، أبو جندل، واسمه عبيد بن حصين النميري، هجا عدي بن الرقاع بنسبه. (ينظر ترجمته: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 4/597-598).

⁶ الراعي النميري، الديوان، 79.

⁷ عديّ بن الرقاع، م.س، 175 - 176.

البسيط

وَاللَّهُ يَصْرِفُ أَقْوَامًا عَنِ الرَّشْدِ

حَدَّثْتُ أَنَّ رُوَيْعِي الْإِبْلُ يَشْتَمُنِي

كَمُبْتَغِي الصَّيْدِ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ

فَإِنَّكَ وَالشَّعْرُ إِذْ تُرْجِي قَوَافِيَهُ

وكانت ابنته تعرف أن أباهما يتعرض لهجاء مبغضيه فهي بدورها ردت عليهم بهذا بيت شعري، إذ كان عدي بن الرقاع يتعرض للهجاء المرة تلو الأخرى ومن مجموعة من الناس، وما كان لهذا إلا لشدة بغضهم للشاعر كونه المقرب للوليد خاصة، ولبني أمية عامة، أما في الأعم الغالب فلم يكن الهجاء بارزاً في الديوان، فقد كان عدي يرد على من يهجوّه، وليس هو من يبادر بالهجاء.

ثالثاً: غرض الرثاء

أشعار الرثاء عند عدي بن الرقاع نادرة في ديوانه، ونستثني من ذلك الأبيات الواردة في مطلع القصيدة الرابعة عشرة¹، وذلك لأنها قيلت في رثاء الوليد بن عبد الملك، بالرغم من أنها قيلت في مدح عمر بن الوليد، حيث أراد أن يفتتحها الشاعر برثاء الوليد من غير أن يصرّح بذلك، فالأبيات تدل على فقد عزيز غالٍ على نفس الشاعر وعلى نفس عمر، فهي تعزية بفقده الوليد، ودعوة لعمر بالصبر على موت أبيه، حيث قال عدي²:

الكامل

لَوْ شِئْتَ هَيَّجْتَ الْغَدَاةَ بُكَائِي
مَأْهُولَةً فَخَلَّتْ مِنَ الْأَحْيَاءِ
لَا قَوْمَ إِلَّا عَقْرُهُمْ لِفَنَاءِ
وَدَعَوْتُ أَخْرَسَ لَا يُجِيبُ دُعَائِي
دَاوَيْتَهَا بِتَجَمُّلٍ وَعِزَاءِ

لِمَنِ الْمَنَازِلُ أَفْقَرَتْ بِغَبَاءِ
فَالْغَمْرُ غَمْرُ بَنِي خَزِيمَةَ قَدْ تَرَى
لَوْلَا التَّجَلُّدُ وَالتَّعَرِّيُّ إِنَّهُ
لَرَثَيْتُ أَصْحَابِي الَّذِينَ تَتَابَعُوا
وَفُرَاقُ ذِي حَسَبٍ وَرُوعَةٍ فَاجِعِ

¹ ينظر: عدي بن الرقاع، الديوان، 161-164.

² عدي بن الرقاع، م، ن، 161.

فيبدو من هذه الأبيات أن الشاعر حزين لفراق الوليد بن عبد الملك، صابر ومصابر على الفاجعة، ومتأسس على رحيل الخليفة، فرثاه في حضرة ابنه عمر، إذا ما قلنا إنها القصيدة الوحيدة في مدح عمر بن الوليد التي لم يفتتحها بالغزل وبالوقوف على الأطلال كعادته، فبعدما ختم الشاعر أبياته في المقدمة تحدث عن عمر بن الوليد بأنه ابن الخليفة أفضل الخلفاء، وهو الذي ورث عن أبيه المكارم والأخلاق الحميدة، وأنه فرع طيب من أصل طيب، وأنه ورث مجده عن أبيه، يقول عدي في الأبيات التي تلت المقدمة¹:

لكامل

عمرُ الذي جمعَ المكارمَ كلها	وابنُ الخليفةِ أفضلَ الخلفاءِ
والأصلُ يَنبُتُ فرعُهُ متناثلاً	والكفُّ ليسَ بنانها بسواءِ
ما إن رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوي	فيما غشيتُ ولا نُجومُ سماءِ
والأرضُ منَ أعلامها متواضعٌ	وأعزُّ عمِّ رأسه بعماءِ

ثم قال²:

الكامل

والدهرُ يفرقُ بينَ كلِّ جماعةٍ	ويلفُّ بعدَ تباعدٍ وتناءٍ
والمرءُ يورثُ مجدهمُ أبناءه	ويموتُ آخرُ وهو في الأحياءِ

فهو يتحدث عن الفراق والتباعد، ولكنه بعد موته سيبقى حياً في القلوب، فهذه الأبيات لا يخفى على سامعها أو قارئها أنها قيلت في موضع رثاء أو فقد عزيز، فالمرء (يورث) أي أنه مات وانقطع من الدنيا وبقي ذكره من خلال أبنائه الذين مشوا على دربه. وختم الشاعر قصيدته بحكم تتحدث عن الموت وتبدل الزمان، فلا شيء يبقى على حاله فكل أيام الودّ والعلاقة التي عاشها الشاعر مع الوليد ابن عبد الملك انقطعت وبقي ذكرها.

¹ عدي بن الرقاع، م.ن، 162-163.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 163.

وباستثناء ما ورد من الأبيات السابقة لم نعثر على أبيات في الرثاء، وهذا يعد من الأدلة الواضحة على ضياع جزء لا بأس به من شعر عديّ بن الرقاع؛ خاصة في عرض الرثاء،¹ إذ إنه لو لم يضيع جزء كبير ومهم من الديوان لوجدنا أشعاراً وقصائد كثيرة في الرثاء، فقد مات عدد من الخلفاء والأمراء وحاشية الخليفة في حياة عديّ بن الرقاع ولا سيما الوليد بن عبد الملك، فلا شك أن الشاعر سيرثيهم عند فقدهم، فهو شاعر البلاط ولا أحد أحق بذلك منه، فهذا من أكثر الدلائل على فقدان جزء ليس باليسير من ديوانه.

¹ انظر التمهيد، 19.

الفصل الثالث: الأغراض الشعرية في ديوان عديّ بن الرّقاع العاملي، دراسة فنية

المبحث الأول: الصورة الشعّرية

المبحث الثاني: بناء القصيدة

المبحث الثالث: الأسلوب

المبحث الأول: الصورة الشعريّة

الصورة الشعريّة "هي التعبير باللغة عن المعاني والأفكار والأحاسيس، وهي وسيلة الشاعر والأديب إلى نقل أفكاره إلى متذوقي عمله الأدبي"¹، وعند المحدثين هي "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بيانيّ خاص ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعريّة الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني"².

ويستطيع الشاعر من خلال التصوير أن يصوغ المعاني في ألفاظ ويحوّلها إلى صور يحسها المتذوق للشعر، كما قال ابن طباطبا العلوي "كم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه"³، فقدرة الشاعر على الصياغة هي المعوّل والمقياس.

وقد تنبه النقاد إلى القيمة الفنيّة للصورة الشعريّة متمثلة بأنواع علم البيان: التشبيه، والاستعارة، والكنائية، والمجاز، ورأوا أن أفضليتها تكمن فيما تحدثه من أثر في الأسماع والقلوب⁴، "فقيمة الصورة الشعريّة تنبع من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى وتأثيرها في المتلقي"⁵.

وأساس المفاضلة بين المبدعين قديماً هو في "شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته، وسلموا قصب السبق لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبدّه فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن -أي العرب- تعباً بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة"⁶.

¹ مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع، 21.

² عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، 435.

³ ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، 11.

⁴ ينظر: العسكري، الصناعتين، 269.

⁵ جابر عصفور، الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي، 328.

⁶ القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، 37.

ويختلف مفهوم الصورة عند المحدثين عن مفهومها عند النقاد القدماء، وتكاد مباحث المحدثين تغفل كثيراً من مباحث القدماء ومقاييسهم ويعتمدون في تقييم العمل الأدبي على مقاييس وموازين محدثة في معظمها تركز على الجانب النفسي¹، فالصورة عندهم وسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره ويصنع بها خياله فيما يسوق من عبارات وجمل، لأنّ الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب، وفيه يتجلى طابعه الخاص، والكاتب في أسلوبه يخضع لمقتضيات الجنس الأدبي².

والصورة الشعريّة قائمة على "الخيال الواسع الخصب، والإحساس المرهف الذي عند المبدعين من أهل صناعة الكلام، وقدرتها على رسم صور حية متحركة، وعرض المعنويات في صورة المحسوسات، حتى تجد طريقها إلى النفوس والقلوب إلى حدّ سواء"³.

والصورة عند عديّ بن الرقاع تقليدية مستمدة من الموروث القديم، وهو يتفنن في اختيار الألفاظ وتراكيبها، ويمازج بين عناصر الصورة، تنصدها مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة، التي استقى منها الشاعر صورته كغيره من الشعراء، "فلعديّ مقدرة فذة على رسم الصورة الشعريّة، فقد تفنن في عرضها، وكان يحبر فيها مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب بنأً وروية، ثم يدقق في أجزائها ويستقصي عناصرها، فجمع في صورته كل ما يمكن أن يجمع في الصورة الفنيّة المتقنة، وهيأ لها عناصر الجمال اللازمة، وأبدع في مزج ألوانها حتى خرجت على أكل وجه"⁴.

وعلى الرغم من تنوع صورته الشعريّة فإن أهمّ مصدر لها هو الطبيعة التي تمثل بيئة الشام الجميلة التي عاش فيها، وتنقل في ربوعها، فاستمد منها عناصر صورته، واعتمد في تشكيل صورته على التشبيه والاستعارة والكناية⁵.

¹ مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عديّ بن الرقاع، 29.

² محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، 279.

³ بن عيسى باطاهر، البلاغة العربيّة، 213.

⁴ تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع، حياته وشعره، 157.

⁵ تحسين محمد الصلاح، م.ن، 157.

1. التشبيه

التشبيه ضرب من ضروب البلاغة له أهمية كبيرة في رسم الصورة البيانية، وعرفه العسكري "بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، وبغير أداة التشبيه"¹، وعند ابن رشيق "هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"².

وكان عبد القاهر الجرجاني يرى "أن جودة التشبيه في طرفته؛ بحيث يحدث نوعاً من الدهشة والعجب، لأن البليغ في صياغته للتشبيه الطريف لم يراع ما يحضر العين، ولكن ما يستحضره العقل، ولم يعن بما ينال بالرؤية بل بما تعلق بالرؤية، ولم ينظر إلى الأشياء من حيث ترى فتحويها الأمكنة، بل من حيث تعيها القلوب"³.

ويتحرك الأديب من خلال أركان التشبيه: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، بصورة تكشف عن عبقريته في صياغة الصور التشبيهية معتمداً الصلات التي تربط بين هذه الأركان بأسلوب يرتفع عن التشبيه المباشر الصريح والنقل الحرفي للواقع، بل ينقل الواقع بشيء من التصوير الخيالي الذي ينشئ علاقات جديدة بين الواقع وبين ما يعتلج في نفس الأديب بما يبرز رؤيته الخاصة للأشياء⁴.

ويرى الدارس أشعار عدي بن الرقاع في ديوانه أنه "ما كاد يترك ضرباً من ضروب التشبيه إلا استخدمه وأحسن فيه، وكانت له تشبيهات مبتكرة وأخرى طريفة غدت مضرب المثل"⁵، ويكفي

¹ أبو هلال العسكري، الصناعتين، 245.

² ابن رشيق القيرواني، العمدة، 286/1.

³ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 277.

⁴ مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع، 38.

⁵ مريم الحارثي، م، ن، 39.

عَدِيًّا تشبيهه قرن الغزال بالقلم الذي ورد في معظم الدراسات البلاغية والأدبية التي جاءت فيما بعد، حين قال في القصيدة التي مدح بها الوليد بن عبد الملك¹:

الكامل

تُرْجِي أَغْنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا

فقد شبه قرن الطيِّب المُدَبَّب بالقلم المبريِّ الذي غُمس في الدواة فأصاب رأسه شيءٌ من مدادها الأسود، فصار هذا التشبيه مثلاً من أفضل الأمثلة في باب التشبيه.

ويروى "أن الأصمعي قال: وأحسن بيت قيل في فترة الجفون بيت ابن الرِّقاع"²، يقول عَدِيٌّ³:

الكامل

وكأنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحُورٌ مِنْ جَانِرِ جَاسِمِ

فقد شبه عيني المرأة الناعسة بعيني الجؤذر الذي غلبه الناعس فانسدلت جفونه، واستشهد المفسرون وأصحاب المعاجم والبلاغيون وأصحاب كتب الأدب والأدب بالأمالي بالأبيات التي شبه فيها عيني محبوبته أم القاسم بعيني البقرة الوحشية، فكان كل واحد منهم يعقب على هذا التشبيه ويظهر إعجابه به، ويكشف عن الجانب الجمالي الذي برع في صياغته الشاعر⁴.

وعَدِيٌّ يحسن انتزاع التشبيه من بيئته المادية، فإذا أراد أن يصور عظمة جيش عبد الملك بن مروان الذي جنَّده لمحاربة مُصْعَبِ بن الزُّبَيْرِ يشبه حركته وضجيجه بضجيج القطا المتوافر على أرض كثيرة الخير، يقول⁵:

¹ عَدِيٌّ بن الرِّقَاعِ، الديوان، 85.

² الأصفهاني، الأغاني، 311/9.

³ عَدِيٌّ بن الرِّقَاعِ، م.س، 122.

⁴ عَدِيٌّ بن الرِّقَاعِ، م.ن، مقدمة الديوان، 14.

⁵ عَدِيٌّ بن الرِّقَاعِ، م.ن، 248.

المتقارب

كَأَنَّ وَغَاهُمْ إِذَا مَا غَدَوْا ضَجِيحُ قَطَا بَلَدٍ مُخْصِبِ

و"قصائد عَدِيٍّ موشحة بكثيرٍ من التشبيهات الرائعة التي راق بعضها النقاد والبلاغيين فأصبحت مضرب المثل عندهم، وفي هذا دليل على براعة عَدِيٍّ بن الرِّقَاع وقدرته على صياغة الصورة البيانية بصفة عامة، والصورة التشبيهية على وجه الخصوص"¹.

ويقول أيضاً²:

الكامل

كَالظَّبِيَّةِ الْبَكْرِ الْفَرِيدَةِ تَرْتَعِي مِنْ أَرْضِهَا قَفَرَاتِهَا وَعِهَادَهَا

فهي ظبية منفردة في الخلاء دائمة الالتفات خشية الأعداء، ويقول في موضع آخر أيضاً³:

وَمَا قَدْ كُنْتَ تَلْهُو فِي اللَّيَالِي بِمَثَلِ الْبِكْرِ تَتَّبِعُ الْغَزَالَ

فالظبية أكثر خوفاً على صغيرها من الصيد أو الافتراس فيكثر التفاتها، وهذا الالتفات يجعل العيون تتسع فيبرز جمالها.

ويصور عَدِيٌّ بياض الفتاة أو المحبوبة الناصع بالدمية لشدة بياضها، يقول في ذلك⁴:

الرمل

وَرَعَائِبُ حِسَانٍ كَالدُّمَى لَا يُنَلِّنُ الشَّيْبَ لَذَاتِ الشَّبَابِ

¹ مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عَدِيٍّ بن الرِّقَاع، 42.

² عَدِيٌّ بن الرِّقَاع، الديوان، 84. العهد: أول ما يقع من المطر (اللسان، مادة، عهد).

³ عَدِيٌّ بن الرِّقَاع، م.ن، 108.

⁴ عَدِيٌّ بن الرِّقَاع، م.ن، 43. رعابيب مفردتها رعبوبة وهي الفتاة الناعمة البيضاء الرخصة (اللسان، مادة، رعب).

وأيضاً وصف الجوّاري الجميلات البيض بالدمى¹:

الكامل

الواهبُ القيناتِ أمثالَ الدُمى مُتَسَجِّياتِ ظِلالِ أسودَ فاحم

وصور عديّ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وزوجه في حفل زفافهما بالقمر والشمس، يقول²:

الوافر

قَمَرُ السَّماءِ وشمسُها اجتمعا بالسَّعدِ ما غابا وما طلعا

وشبه عديّ بن الرّقاع الحيوان بأروع صورته سواء أكان من الظباء أم الإبل أم حمار الوحش أم الخيل، فاعتمد في تشكّل صورته على التشبيه الذي يعد أسهل الوسائل التصويرية وأكثرها ملائمة للبيئة المادية، ليظهر العلاقة بين المشبه والمشبّه به، ويبين بعض الصفات المشتركة بينهما، ونلاحظ أن صورته التي تقوم على التشبيه لا تسير على نمط واحد، فالتنوع والتجديد سمة من سماتها، وربما كانت إجادته في التشبيه وبراعته في نسجه من العوامل التي ساعدت على خلود شعره وذيعه بين الناس³.

وقد كانت الإبل الرفيق في الرحلة والأنيس في الوحدة، والمال الذي يتقوى به، تقربه من أحبابه، وتدنيه من ممدوحيه، وتوصله إلى غاياته، لذلك وصفها فأطال، وصورها فجود، وشبهها فأصاب، ووصف خلقها وتركيبها وسيرها وصبرها وأحوالها كلها، ولما كانت الحر الوحشية هي سيدة الصورة في بوادي بلاد العرب مع ما عرفت به من النشاط والقوة والسرعة فقد أكثر عديّ من تشبيه ناقته وبغيره بها⁴، يقول عديّ واصفاً بغيره⁵:

¹ عديّ بن الرّقاع، الديوان، 127. متسجيات ظلال أسود فاحم: متغطيات بالشعر الأسود الذي يشبه الفحم (اللسان، مادة، سجو).

² عديّ بن الرّقاع، م.ن، 257.

³ يُنظر: تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرّقاع العاملي، حياته وشعره، 158.

⁴ مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عديّ بن الرّقاع، 53.

⁵ عديّ بن الرّقاع، م.ن، 139. الصهبة: الحمرة (اللسان، مادة، صهب)، والعسف: السير على غير هدى (اللسان، مادة، عسف)، التتوفة: الفلاة المقفرة المستوية، (اللسان، مادة، تنف)، الديموم: الفلاة يدوم فيها السير لبعدها، (اللسان، مادة، دوم).

الخفيف

فهي كالفارح الصُّهَابِيّ أضْحَى عاسفاً للتُّوفَةِ الدَّيْمُومِ

أو قوله¹:

الرمل

كمدلٌ ظلٌّ في عانتِهِ بصُوى الرِّجْلَةِ شَرْقِيٍّ غَرَابِ

فالفارح الصُّهَابِيّ والصُّهَابِيَّة والنحوص والمدلُّ كلها من أوصاف الحمر الوحشية التي تعيش في تلك المواضع².

ووصف عَدِيٍّ أعضاء ناقته وبغيره الجسدية، فشبهه رحم الناقة بالجراب، يقول³:

الرمل

حَمَلَتْهُ بَازِلٌ كَوَدَانَةٌ فِي مِلَاطٍ وَوَعَاءِ كَالْجِرَابِ

وشبه أمعاءها بالحبلى المشدود في قوله⁴:

الكامل

بُنِيَتْ عَلَى كُرْشٍ كَأَنَّ حُرُودَهَا مُقَطَّ مُطَوَاةٌ أَمْرٌ قُوَاهَا

ووقف عَدِيٍّ عند سير الإبل فوصف شدته، وتطاير الحصى تحت مناسم الإبل، فشبهه صوت الحصى المتطاير بصوت صليل الدراهم في قوله⁵:

الكامل

وَكَأَنَّ رِنَّةَ مَا يُصِينُ مِنَ الْحَصَى فِي كُلِّ فَدْفَدَةٍ صَلِيلٌ دَرَاهِمِ

¹ عَدِيٌّ بن الرَّقَاعِ، الديوان، 46. مُدَلٌّ: الذي يدلُّ بقوته ونشاطه، (اللسان، مادة، دمل)، الرِّجْلَةُ: مسيل الماء إلى الوادي (اللسان، مادة، رجل).

² مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عَدِيٍّ بن الرَّقَاعِ، 53.

³ عَدِيٌّ بن الرَّقَاعِ، م.س، 43.

⁴ عَدِيٌّ بن الرَّقَاعِ، م.ن، 102. الحُرُودُ: الطرائق التي في الكرش (اللسان، مادة، حرد)، مُقَطَّ: حبال، أمر قواها: شدُّ فتلها (اللسان، مادة، مقط).

⁵ عَدِيٌّ بن الرَّقَاعِ، م.ن، 124. الفدفة: الأرض الصلبة (اللسان، مادة، فدقد).

أو قوله¹:

المتقارب

تُطِيرُ مَنْاسِمَهُنَّ الْحَصَى كَمَا نَقَدَ الدَّرْهَمَ الصَّيْرَفُ

وفي رسم صورة الفرس يستعين بما اكتسبه من الشعر الجاهلي، ونلمس مقدرته الفذة على تشكّل صورته من خلال قراءتنا لمقطوعاته في الخيل، إذ أبدع إبداعاً كبيراً في إضفاء الحركات النفسية الداخلية والحركات الخارجية المليئة بالحيوية عليها، ولا نشكّ في أن أسلوبه في رسم صورته هو الذي دعا النقاد إلى استحسانها والتنويه بها²، فقد صورّ قوة فرسه ومثانة جسده بالحبل المفتول شديد القوة، يقول³:

المتقارب

أُمِرَّتْ حَوَامِلُ أَوْصَالِهِ كَمَا تُسْتَمَرُّ قُوَى الْقَنْبِ

وصور عنق الحصان بجذع النخلة التي جرّدها صاحبها من الليف بالقُدُوم، وهي أداة تنظيف جذوع النخل من الليف، يقول⁴:

الخفيف

وَتَلِيلٍ كَالجِذْعِ شَدَّبَ عَنْهُ جَارِمُ النَّخْلِ لَيْفَهُ بِالْقُدُومِ

وفي رسمه لصورة الحمار الوحشي وأتانه، يظهر اضطراب الأتّان وقلقها على ولدها، ويبين فاجعتها عندما يتركها تعثر على أشلائه متناثرة فوق الرمال مستعيناً بالصور الجاهلية، ويبدع في تفجير مشاعر الأمومة والتعبير عن حسرة الفقد والتكل التي أصابت الأتّان⁵.

¹ عديّ بن الرّقاع، الديوان، 215.

² تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرّقاع العاملي، حياته وشعره، 157-158.

³ عديّ بن الرّقاع، م.س، 250.

⁴ عديّ بن الرّقاع، م.ن، 142. التليل: العنق.

⁵ تحسين محمد الصلاح، م.س، 157.

وغير ذلك من الصور وردت متناثرة في ديوانه، ولكنها قليلة قياساً بتصوير المرأة والحيوان، كتصويره ظلمة الليل وطوله¹:

الكامل

وَكأنَّ لَيْلِي حِينَ تَغْرُبُ شَمْسُهُ بِسَوَادٍ آخَرَ مِثْلَهُ مَوْصُولٌ
أرعى النجوم إذا تغيب كوكبٌ أبصرتُ آخرَ كالسراجِ يَجُولُ

فقد صور الليل الطويل بأنه متصل لا ينقضي، والنجوم الالامعة في السماء بالسراج المرتعش.

كما صور الناس بالعيوان أي بالأشجار والأغصان، فبعضهم شباب كالعود النابت المورق اليانع، والبعض الآخر كالهشيم اليابس، في قوله²:

الخفيف

أخبر النفس إنما الناس كالعين — دان من بين نابت وهشيم

وصور الأخاديد والحفر والشقوق الطويلة التي تركتها آثار المحبوبة في نفس الشاعر بخط يخطه القلم على القرطاس³:

البسيط

بها أخاديد من آثار ساكنها كما تردد في قرطاسه القلم

2. الاستعارة

"وهي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتريد أن تفصح بالتشبيه، وتجيء إلى اسم المشبه به فتصيره المشبه وتجريه عليه"⁴، والاستعارة هي ضرب من ضروب المجاز، وهي ضرب من

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 204.

² عدي بن الرقاع، م.ن، 137.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 116.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 286.

التشبيه ونمطاً من التمثيل"¹، وعمد عديّ بن الرقاع إلى الاستعارة وأكثر من توظيفها حتى غدت أداة مهمة من أدوات رسم الصورة عنده.²

وقد أعجبت النقاد والأدباء وعلماء البلاغة صورة حمار الوحش وأتانه عندما يتعاركان،³ فقال العسكري فيها: "وقد أحسن عديّ بن الرقاع في ثورين وما يثيرانه في عدوهما من الغبار، ولا أعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا المعنى"⁴. وقد أشار أبو تمام في إحدى أبياته الشعرية إلى تلك العجاجة قائلاً:⁵

الكامل

تُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ أَرْضٍ يَهِيمُ بِهَا عَدِيٌّ بِنُ الرِّقَاعِ

وصور البعير في صورة من يراقب الأحداث، فقال:⁶

الرمل

يَرْقُبُ الشَّخْصَ بِتَالِي طَرْفِهِ بَعْدَمَا يَنْضُو مَعَانِيْقَ الرِّكَابِ

فاستعار للبعير غير العاقل فعل العقلاء، لأنه يرقب الحداء عند المسير.

واستعار عديّ للجبل صفة العري وهي من صفات البشر، فأحياناً يكسوه الثلج وكأنه مرتد ثيابه، وأما عندما يذوب الثلج فيبدو إنساناً تعرّى، وقد عاش عديّ في جبال عاملة، وهي جبال عالية في لبنان يغطيها الثلج في معظم الأحيان، يقول عديّ في ذلك:⁷

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 20.

² مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عديّ بن الرقاع، 164.

³ ينظر: ابن الشجري: الأمالي، 276، المرزباني، معجم الشعراء، 253، البغدادي، خزنة الأدب، 277/3، ابن المعتز، البديع، 294. وغيرهم.

⁴ العسكري، ديوان المعاني، 131/2.

⁵ أبو تمام، الديوان، 56/2.

⁶ عديّ بن الرقاع، الديوان، 46.

⁷ عديّ بن الرقاع، م.ن، 172. الأبهام: المصمّت الذي لا صدع فيه (اللسان، مادة، بهم).

البسيط

مِنْ كُلِّ أُنْهَمَ يَكْسُو التَّلْجُ ذُرْوَتَهُ حَتَّى فَشَا وَبَدَا فِي الصَّيْفِ عُرْيَانَا

ويقول في الحرب ¹:

الخفيف

وَكُمَا كَسَتْهُمُ الْحَرْبُ بَيِّضًا وَسَرَابِيلَ كُسِّرَتْ لِلضَّرَابِ

فالحرب لا تكسو البييض والسراويل التي تستخدم في أثناء المعركة، فاستعار الكسوة للحرب.

وفي أول قصيدة في ديوانه يشبه عدي بن الرقاع الدار بإنسان يهيج الشوق دون أن يتكلم، فالرسوم الدارسة لا تتحدث يضيف أنها عيية لا تحير جواباً ولا تستطيع الكلام، يقول ²:

الرملي

لِمَنِ الدَّارُ كَعُنْوَانِ الكِتَابِ هَاجَتِ الشُّوقَ وَعَيَّتْ بِالْجَوَابِ

فقد شبه الدار في البداية بعنوان الكتاب، ثم استعار لها صفة الاشتياق دون أن تتكلم.

واستعار صفة البكاء للمنازل التي رحل أهلها عنها ولن يأتي الزمان بمتلهم في زمان الشاعر، دلالة على أهمية المحبوبة ³:

الكامل

فَابْكِي إِذَا بَكَتِ المَنَازِلُ أَهْلَهَا مَعذُورَةً وَظَلُمْتَ إِنْ لَمْ تَفْعَلِي
أَهْلًا كِرَامًا لَنْ يُحِلَّكَ مِثْلَهُمْ فِي ذَا الزَّمَانِ وَلَا الزَّمَانِ المُقْبِلِ

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 57.

² عدي بن الرقاع، م.ن، 41.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 69-70.

وفي حديثه عن الشيب وتبدل الشباب والقوة جعل عديّ بن الرقاع الشيب لباساً لبسه دلالة التصاق اللبس بالإنسان، يقول¹:

الكامل

وَلَقَدْ بَلَوْتُ الدَّهْرَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ حَتَّى لَبِسْتُ الشَّيْبَ بَعْدَ فِتَاءِ

وفي موضع مشابه يقول عديّ²:

البيسط

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً أُسْتَكْنُ بِهِ وَأَسْتَنْظِلُ زَمَانًا ثُمَّتَ انْقِشَاعًا
وَبَدَّلَ الرَّأْسُ شَيْبًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ فَيُنَانَةٌ مَا تَرَى فِي صُدُوعِهَا نَزْعًا
فَإِنْ تَكُنْ مِيعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ وَأَعْقَبَ اللهُ بَعْدَ الصَّبْوَةِ الْوَرَعَا

فهنا شبه الشباب بالرداء الذي يستكن به الإنسان وبالظل الذي يستظل به من الحر، ثم ينقشع هذا الظل كالسحابة والغيمة.

وفي مدح الوليد بن عبد الملك جعل عديّ بن الرقاع أمر المسلمين حبلاً شدّ الوليد عقده وأحكم ربطها حتى لا تفلت، كناية عن حُسن السياسة، يقول³:

البيسط

وَكَانَ أَمْرُكَ فِي أَهْلِ الطَّوَانَةِ مِنْ نَصْرِ الَّذِي فَوْقَنَا وَاللَّهُ أَعْطَانَا
أَمْرًا شَدَّدْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ عِقْدَتَهُ فَرَادَ فِي دِينِنَا خَيْرًا وَدُنْيَانَا

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 162.

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 216. الميعة: النشاط، (اللسان، مادة، ميعة).

³ عديّ بن الرقاع، م.ن، 174.

وتشبيهه أمر المسلمين بالحبلى من المعاني الجديدة وهو مأخوذ من أسلوب القرآن، وكأنه ينظر فيه إلى قول الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾¹.

وفي حديثه عن بني أمية في القصيدة التي مدح بها الأسوار يقول²:

الخفيف

وأبى الحمد أن يُحالفَ قوماً غيرهم فهو صائرٌ حيثُ صاروا

فاستعار صفة الحمد للإنسان الذي يحالف بني أمية ولا ينقض عهده معهم ويمضي معهم أينما مضوا.

وفي بيت مماثل يقول عدي³:

الخفيف

يبأسُ الظلمُ أن يكونَ بأرضٍ هم بها أو يجيء من حيثُ جاءوا

فبنو أمية دعاة إحقاق الحق وإنصاف المظلومين، فلا يكون الظلم بأرضهم أو في قصورهم أو في ديارهم.

ومن أجمل الاستعارات في ديوان عدي بن الرقاع تصويره غروب الشمس، وذلك عندما تبدأ الشمس بالغروب، ويصبح لون الأفق أحمر، حيث قال في ذلك⁴:

البسيط

حتى إذا المنظرُ الغربيُّ جادَ دماً من حمرةِ الشمسِ لما اغتالها الأفقُ

فتحول الأفق الغربي للون الأحمر عند المغيب كالدّم من حمرة الشمس.

¹ البقرة، 256.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 185.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 160.

⁴ عدي بن الرقاع، م.ن، 147.

3. الكناية

الكناية من فنون علم البيان، وهي "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، ومثل لها بطويل النجاد ونؤوم الضحى ونحوها"¹.

ومنها قوله في مدح الوليد بن عبد الملك²:

الكامل

أولا ترى أن البرية كلها أقت خزائما إليه فقادها

فقوله (أقت خزائما) كناية عن الطاعة والامتثال لأوامره.

وينفي عن نفسه صفة الفحش والفجور، فهو أهل للأخلاق الحميدة والعفاف، يقول³:

الكامل

وأنا امرؤ مني العفاف ولم أكن دنس الثياب ولا مريب المدخل

ومن كناياته قوله⁴:

الخفيف

من لذن أن أجنني الليل حتى فضح الصبح واضحات النجوم

كناية عن طلوع الفجر.

وكنى عن البرد ببنات السحابة، فقال⁵:

الطويل

كان ثناياها بنات سحابة حدهن شؤوب من الغيث باكر

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز 51.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 91.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 61.

⁴ عدي بن الرقاع، م.ن، 136.

⁵ عدي بن الرقاع، م.ن، 197.

وذلك حين وصف أسنان محبوبته عندما يأتي الليل فتبتسم فتظهر أسنانها اللامعة البيضاء كالبرد، فلم يصرح بالبرد بل كنى عنه ببنات السحابة، لأن البرد يأتي من السحاب.

وفي موضع آخر يقول¹:

الخفيف

وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ لَاحَ مِنْهَا بَرْدٌ شَافَةٌ لِنَاتٍ ظِمَاءُ

فابتسامتها تجلو أسنانها البيضاء كالبرد.

وقال في الناقة²:

الرمل

جِلْدَةٌ لَمْ يَتَخَوَّنْ دِرَّهَا سُوءُ تَصْرِيمٍ وَلَا جَهْدُ احْتِلَابِ

كناية عن أنها ناقة مصونة غير ضعيفة فلم يؤثر في قوتها الحلب، ولم تبلغ جهد الحلب لتصبح ضعيفة هزيلة لا تقوى على الحركة فيقل نشاطها. ويقول في نشاط الناقة وسرعة سيرها³:

الكامل

وَيَقُودُ نَاهِضُهَا مَجَامِعَ صُلْبِهَا نَعْبًا وَتَبْتَدِرُ النَّجَاءَ يَدَاها
وَتَسُوقُ رِجْلَاهَا تَوَالِي خَلْقِهَا طَرْدًا وَتَلْتَطِسُ الْحَصَى بَعْجَاهَا

فهي منتظمة في سيرها، فمقدمها شديد، فلا يخذل مقدمها مؤخرها، ولا مؤخرها مقدمها.

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 150. يشوفه شوقاً: إذا جلاه وحسنه (اللسان، مادة، شَوْفَ).

² عدي بن الرقاع، م.ن، 44. يتخون: ينتقص، (اللسان، مادة، خون)، التصريم: أن تصرم الناقة أخلاف النوق، أي ينقطع بعض أخلافها من الصرام، لتبقى قوية (اللسان، مادة، صرم).

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 102. اللطس: دق الحجارة، (اللسان، مادة، لطس)، عجا: مفردا عجاية وهي عصابة في مؤخر الوظيف تمتد إلى الرسغ (اللسان، مادة، عجو).

وكنى عن البعير بقرقور المرورات، أي كأنه سفينة تسير وسط الصحراء حيث قال¹:

الرمـل

نَعَمْ قُرْقُورُ المُرُورَاتِ إِذَا غرِقَ الحَزَانُ فِي آلِ السَّرَابِ

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 46. قرقور: ضرب من السفن (اللسان، مادة، قرر)، المرورات: الفلاة، وجمعها: المراري، (اللسان، مادة، مرر)، الحزان: مفردها الحزيز، وهو المنهبط من الأرض، وقيل الغليظ منها، (اللسان، مادة، حزز).

المبحث الثاني: بناء القصيدة

جاء معظم شعر عدي بن الرقاع محاكياً للشعر القديم من حيث شكله الفني وهيكله الخارجي، لا سيما في القصائد الطويلة، فقد توزعت قصائد الديوان بين قصائد طويلة ومقطعات وأبيات مفردة لا سيما في ملحق الديوان، حيث يغلب الظن أن جزءاً كبيراً من الديوان مفقودٌ.

وعني النقاد العرب ببناء القصيدة الفني، ورأوا أن أحسن الشعر ما ينتظم انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، ويجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة¹. ويقول ابن حجة الحموي: "إنهم اشترطوا في براعة الاستهلال، أن يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت مشعراً بغرض الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بها على القصيد"².

وعدّ ابن رشيق القصيدة التي تخلو من المقدمة الطللية قصيدة بتراء³، وعلى هذا الأساس درج الشعراء في العصر الأموي على افتتاح قصائدهم بالمقدمات الطللية وصولاً إلى الموضوع الرئيس، فيتوجب على الشاعر أن يحسن الربط بين المقدمة والموضوع الرئيس في القصيدة؛ بحيث تكون المقدمة مشعرة بغرض الشاعر، ودالة على المعنى الذي يريده بعده⁴. وأكد ابن طباطبا الوحدة الفنية في القصيدة بقوله: "أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره"⁵.

¹ ابن رشيق، العمدة، 187/1.

² ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 342/1.

³ ابن رشيق، م.س، 231/1.

⁴ ابن الأثير، المثل السائر، 223/2.

⁵ ابن طباطبا، عيار الشعر، 126.

1. المقدمة

اهتم معظم الشعراء في العصر الأموي بمقدمة القصيدة، وعدوها نهجاً مقدساً من إرث الجاهليين، فقد "ظل الشعراء الأمويون يمهّدون بين أيدي قصائدهم بالألوان الجاهلية من المقدمات، يدفعهم إلى ذلك أنهم لم يجدوا أمامهم مثلاً فنية مستوية إلا المثل الجاهلية، فإن فترة صدر الإسلام كانت قصيرة بحيث لم يتمكن المخضرمون من اختراع تقاليد فنية فيها، فضلاً عن أن ملكاتهم كانت قد تفتحت في الجاهلية"¹.

ولم يفارق ابن الرّقاء كغيره من شعراء الأمويين منهج القدماء في السير على نمط أشعارهم، لأن الخليفة الأموي كان يحب ذلك، ويحن لأيام الصحراء والأطلال، فوقف الشاعر على الديار وذكر الأطلال ووصف الآثار والدمن، وبكى واستبكى ألم البين والفراق، وتذكر ديار المحبوبة ومن كان بها، لذا جاءت في ديوانه صور كثيرة رسم فيها دثور الأطلال وآثار الرياح والأمطار بها².

ومع هذه الكثرة لم نجد في أخباره ما يدل أو يوحي بأن عدياً كانت له صلة حقيقية بالنساء، بل إنك لتحس بتأثره بالقدماء في كثير من قصائده³، ففي القصيدة الثامنة في الديوان يقول في مطلعها⁴:

البيسط

بانّت سعاد وليس الودُّ ينصرمُ ودأخلَ الهمَّ ما لم تمضنه سقمُ
وصلّت منزلةً قفراً ووقفتُ بها كمثلها إذ بها الأحياء والنعمُ

وفي القصيدة السادسة عشرة يقول في مطلعها⁵:

البيسط

بانّت حُسينةُ وأنتمتُ بمنّ بانا واستحدثتُ لك بعد الوصلِ هجرانا
وما حُسينةُ إذ قامتُ تودّعنا للبينِ واعتقدتُ شذراً ومرجانا

¹ حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، 24.

² مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عدي بن الرّقاء، 78.

³ مريم الحارثي، م.ن، 54.

⁴ عدي بن الرّقاء، الديوان، 115.

⁵ عدي بن الرّقاء، م.ن، 168.

وفي قصيدة أخرى يقول في مطلعها¹:

المتقارب

نَأْتُكَ حُسَيْنَةً فِيمَنْ نَأَى وكانت نَوَاهَا بِهَا تُسْعَفُ
وولَّى الشَّبَابُ بِلذَاتِهِ فَمَا يُسْتَقَالُ وَلَا يَعْطِفُ

"والنقاد البصراء بالشعر مجمعون على أن أكثر أسماء النساء الواردة في أشعار الشعراء إنما هي أسماء يستخفها الشعراء، وتجري على ألسنتهم لعذوبة جريها الموسيقي، وقد تكون رمزاً²، فمن غير المعقول أن ديواناً شعرياً كديوان عدي بن الرقاع احتوى تسعاً وعشرين قصيدة ووُجد فيه هذا الكم من أسماء النساء، فهي عادة جرى عليها الشعراء في الجاهلية واستمر عليها الشعراء في العصر الأموي، وكان من عادة الشعراء -أحياناً- أن يصرحوا بأسماء المحبوبة، وأسماها العرب قديماً الإشارة أو الإيماءة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذاق الماهر"³.

فقد وصف الشاعر لونها وشبهها بالطيبة والمهابة والريم والجؤنر والدمية، ووصفها بأنها خود خريذة رعبوبة، ووصف ريقها وبهجة حديثها، ورسم في ذلك صوراً غدت مضرب المثل في التجويد والافتتان وإصابة الغرض⁴، يقول⁵:

الخفيف

دُمِيَّةٌ شَافَهَا رِجَالُ نَصَارَى يَوْمَ فَفَّحَ بِمَاءِ كَنْزِ مُذَابِ
أَوْ مَهَاةٌ تَبَلَّجَ اللَّيْلُ عَنْهَا بِاللَّوَى بَيْنَ عَالِجِ فَالْجَنَابِ

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 210.

² مريم الحارثي، التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع، 54.

³ ابن رشيق، العمدة، 231/1.

⁴ مريم الحارثي، م.س، 197.

⁵ عدي بن الرقاع، م.ن، 50. دمية: يكنى عن المرأة بها، (اللسان، مادة، دمي)، شاف: جلا، (اللسان، مادة، شوف)، اللوى وعالج والجناب: أسماء مواضع بين فزارة وطبي.

أو قوله¹:

الكامل

وأسيّلة الخدّين ساجٍ طرفُها بيضاءَ مؤنّقةً لعينِ المُجنّلي
خودٌ من اللّائي يمسّنُ تأوداً مشيَ المياهِ على الكثيبِ الأهيلِ

وتبقى مطالع قصائده صورة تقليدية لما ألفناه عند الشعراء القدامى، فالدار مثل خط الكتاب وقد انتصبت في الموضع المحددة بعد أن جرّت الريح فوقها تراباً سريعاً²، ففي أول قصيدة له في الديوان يقول ابن الرّقاع³:

الرمّل

لمن الدّارُ كعنوانِ الكتابِ هاجتِ الشّوقَ وعيّتُ بالجوابِ

وفي قصيدة أخرى⁴:

الخفيف

لمن الدّارُ مثلُ خطِّ الكتابِ بالمراقيدِ أو بذكرِ العقابِ

وكان يدعو أحياناً لدار المحبوبة بالسقيا وبصوب مُسبلٍ لأنها مسكنٌ لمن شغلت فؤاده بالهوى، فرحلت عن الدار ولم ترحل الدار، فاستحقت السقيا لعل وعسى تعود إليها المحبوبة⁵:

الكامل

فسقّيتِ من دارٍ وإن لم تسمعي أصواتنا صوبَ الرّبيعِ المُسبلِ
قد كان أهلك مرةً لك زينةً فاستبدّلوا بدلاً ولم تستبدلي

¹ عديّ بن الرّقاع، الديوان، 60. أسيّلة: لينة الخدّ، (اللسان، مادة، أسل)، مؤنّقة: كانت مؤنّقة فسهلت الهمزة، لكل شيء أعجبك حسنه، (اللسان، مادة، أنق)، يمسّن: يتبخترن ويختلن، (اللسان، مادة، ميس)، أهيل: منهال لا يثبت، (اللسان، مادة، هيل).

² عديّ بن الرّقاع، م.ن، مقدمة الديوان، 17.

³ عديّ بن الرّقاع، م.ن، 41.

⁴ عديّ بن الرّقاع، م.ن، 49. المراقيد وذكر العقاب: موضعان.

⁵ عديّ بن الرّقاع، م.ن، 69. مُسبل: أي مطر هاطل، (اللسان، مادة، سبل).

والشاعر - أحياناً - يتحدث في مطالع بعض من قصائده عن تبدل شبابه واشتعال الشيب في رأسه، وتغير حاله من الجهل إلى الحلم، فالشعراء المعمرون في الجاهلية هم الذين أرسوا أصول هذه المقدمة¹، أما في العصر الأموي فلم يُكثر الشعراء الفحول من استهلال قصائدهم بها، وقد ورد عند عدي قصيدتان افتتحهما بذكر الشيب والبكاء على أيام الشباب، يقول عدي²:

الكامل

علاني الشيبُ واشتعلَ اشتعالاً وقد غشيَ المفارقَ والقذالاً
وقد بدلتُ بعدَ الجهلِ حلماً وبعَدَ اللّهُوَ فاستترَضِ البِدالاً

وصارت الفتيات الحسنات يُعرضن عن الشاعر لأنه أصبح كبيراً في السن، فأصبح من الضلالة النظر إليهن كيلا يُذعرن من الصلع في رأسه، فهن ينظرن إلى الشاب الوسيم بعدما نسين أخلاق الشاعر الحسنة³:

الكامل

ومن الضلالة بعدما ذهب الصبا نظري إلى حور العيونِ نواعم
يُذعرن من صلع الرجالِ وشيبيهم ويمقن شيمة كل أهيف عارم
أعرضن حين فقدن غرب بطالتي ونسين حُسنَ خلأئقي وتمائمي

أو قوله في الموضوع ذاته⁴:

البيسط

حتى تصرم لذات الشباب وما من الحياة بذا الدهر الذي نسلا
وراعهن بوجهي بعد جدته شيب تقشغ في الصدغين فاشتعلا
وسار غرب شبابي بعد جدته كأنما كان ضيقاً خف فارتحلا

¹ حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، 90.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 108. القذال: جماع مؤخر الرأس من الإنسان، وهو آخر ما يشيب (اللسان، مادة، قذال)،

الصدغين: مثني الصدغ؛ ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين، (اللسان، مادة، صدغ).

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 123.

⁴ عدي بن الرقاع، م.ن، 73. تقشغ: ظهر فيه الشيب وانتشر، (اللسان، مادة، فشغ).

وكان الشاعر في بعض من مطالع قصائده يشير إلى الأثر الذي يحدثه ألم البين والفرق وانتظار الوصل، فقد كان أثره كمن يشرب الخمر إلى حدّ أن يفقد عقله ويصاب بالجنون لشدة ما يشرب، وأثرها في نفس شاربها كأثر فراق المحبوبة، فقد تحلل شعراء العصر الأموي من المقدمة الخمرية كونها ظاهرة جاهلية، حتى لتكاد تختفي اختفاءً تاماً من قصائدهم¹، يقول عدي²:

البيسط

ظَلَّتْ تَطَّلِعُ نَفْسِي إِثْرَهُمْ طَرَبًا كَأَنِّي مِنْ هَوَاهُمْ شَارِبٌ سَدِيمٌ
مَسْطَارَةٌ بَكَرَتْ فِي الرَّأْسِ نَشْوَتُهَا كَأَنَّ شَارِبَهَا قَدْ مَسَّهُ لَمَمٌ

وزاد من جمال مطالع قصائد عديّ بن الرقاع استخدامه التصريح، لأنه "يقرع السمع شيء غريب ليس بمثله عادة ليكون سبباً للتطلع نحوه والإصغاء إليه"³، "وللتصريح في أوائل القصائد حلاوة وموقع في النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي الضرب والعروض وتماتل مقاطعها"⁴، يقول عدي⁵:

البيسط

أَتَعْرِفُ الدَّارَ أَمْ لَا تَعْرِفُ الطَّلَا بَلَى فَهَيَّجَتِ الْأَحْزَانَ وَالْوَجَلَا

وفي موضع آخر يقول⁶:

الوافر

عَلَانِي الشَّيْبُ وَاشْتَعَلَ اشْتَعَالَا وَقَدْ غَشِيَ الْمَفَارِقَ وَالْقَدَالَا

¹ حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، 27.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 117 - 118. سديم: مصاب بالحزن والهَم، (اللسان، مادة سدم)، مسطارة: الخمر الصارعة لشاربها، (القاموس المحيط، مادة، سطر).

³ ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 224.

⁴ القرطاجني، منهاج البلغاء، 271 - 283.

⁵ عديّ بن الرقاع، م.س، 73.

⁶ عديّ بن الرقاع، م.ن، 108.

2. حسن التخلّص

وكان عديّ بن الرقاع يحسن التخلّص إلى الرحلة ووصف الراحلة، وكذلك أحسن التخلّص إلى الموضوع الرئيس من القصيدة لا سيما قصائد المديح، ويرى بعض النقاد "أن التخلّص قد يأتي في شطر بيت، أو بيت بجملة، أو بيتين"، وغالباً ما كان يلجأ للناقة للتخلّص من همومه، يقول أيضاً متخلصاً¹:

الكامل

أفلا تناساها بذاتٍ بُرايةٍ عنسٍ تجلُّ إذا السفارُ براها

أو قوله²:

الخفيف

أفلا تُسعِدُ الهمومَ بعنَسٍ رسالةٍ حينَ تعرِّضُ البيداءُ

أو أن يتخلّص بها لبيتعد عن ذكر المحبوبة التي رحلت وتركته يعاني ألم الفراق والهجران³:

الرمل

فذرِ اللّهُوَ لِمَنْ يَلهُو بِهِ واكسُ أقتادكَ جوناَ ذا هيبابِ

واهتم النقاد بحسن التخلّص، وبينوا أن الشاعر يأخذ في معنى من المعاني ثم ينتقل إلى معنى آخر يخنلسه اختلاصاً رقيقاً، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال إلى موضوع آخر في القصيدة، يقول عديّ⁴:

الخفيف

فتناسى الصبّا بذاتِ هياتِ نفتدي بعدَ ابنها بالرّسيمِ

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 100.

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 153. رسالة: سهلة السير، (اللسان، مادة، رسل).

³ عديّ بن الرقاع، م.ن، 43. أقتاد: مفردها قنّد، خشب الرحل، (الصحاح، مادة، قنّد)، الجون: البعير الأسود المشرب بالحُمرة، (اللسان، مادة، جون)، هيباب: نشاط، (اللسان، مادة، هيباب).

⁴ عديّ بن الرقاع، م.ن، 139. الرسم: ما تؤثره الناقة في الأرض من شدّة وطئها، (اللسان، مادة، رسم).

وأحسن عَدِيَّ بن الرَّقَاعِ التَّخْلَصَ في بيتِ بجملته، وهو أفضل أنواع التَّخْلَصِ، فيفترض على الشاعر "أن يتحرَّرَ في التَّخْلَصِ من انقطاع الكلام، ومن التضمين، والحشو، والإخلال، واضطراب الكلام، وقلة تمكَّن القافية"¹، يقول في إحدى قصائده متخلصاً²:

البيسيط

فصرمَّ الهمَّ إذ ولى بناجيةٍ عيرانةٍ لا تشكى الأصرَّ والعملا

وأحياناً كان عَدِيَّ يحسن الخروج من الموضوع إلى الموضوع الذي يليه من خلال بيتين شعريين، فقد خرج من التغزل بالمحبوبة إلى وصف الناقة بقوله³:

الوافر

وداويةٍ يحارُّ الركبُ فيها كأنَّ على مزارمها جلالاً
قطعتُ بفتيةٍ ومخزّاتٍ يناطحنَ المواركُ والجلالاً

وكان يتخلَّص إلى الناقة بعد فقد شبابه وأصبح الفتيات لا ينظرن إليه، فهن يملن إلى ملامسة الشباب ولهوه ولا يردن قصص الفقيد العالم، لذا يدعو نفسه إلى قطع الوصال بهن بأينق غائرات العيون ضامرات البطن⁴:

الكامل

أعرضنَّ حينَ ففدنَّ غربَ بطالتي ونسينَ حُسنَ خلّاقي وتمائمي
فإذا ملامسةَ الشبابِ ولهوه منهنَّ لا قصصَ الفقيدِ العالمِ
فاقطعُ بقيةً وصلهنَّ بأينق خوصٍ يسجنُ بركبهنَّ سواهم

¹ القرطاجني، أبو حازم، منهاج البلغاء، 231.

² عَدِيَّ بن الرَّقَاعِ، الديوان، 76.

³ عَدِيَّ بن الرَّقَاعِ، م.ن، 111. داوية: فلاة، مفازة، (اللسان، مادة، دوا)، (اللسان، مادة، خرم)، الموارك: مفردتها موركة، ما يتورك عليها الراكب، فيثني عليها رجله، (اللسان، مادة، ورك)، الجلال: غطاء على ظهر الناقة يوضع على ظهرها لتعرق فيظهر العرق شحمها، (اللسان، مادة، جل).

⁴ عَدِيَّ بن الرَّقَاعِ، م.ن، 123-124. الخوص: ضيقة العين وصغرها وغوورها، (اللسان، مادة، خوص)، يسجن: يسرعن في سيرهن، (اللسان، مادة، وسج)، سواهم: مفردتها ساهمة، الناقة الضامرة، (اللسان، مادة، سهم).

وتخلص في إحدى قصائده إلى الحديث عن البرق ولمعانه فوق الجبال، وما ينتج عنه من أمطار فتجري السيول في الأودية¹:

الطويل

فدع ذا ولكن هل ترى ضوء بارق
وميضاً ترى منه على بعده لمعا
تصعد في ذات الأرناب مؤهناً
إذا هزَّ رعداً خلت في ودقهِ شفا
تبعج مجاجاً من الغيث لم يذر
أباطح إلا يطردن ولا تلعا

3. حسن الانتهاء

اهتم النقاد بخواتيم القصائد بشكل كبير، ودعوا إلى جعل الخاتمة أجود ما يكون في القصيدة، وأكثرها ارتباطاً بالموضوع الذي نظمت من أجله²، فأخر القصيدة هو ما يعلق في ذهن السامع، فمن القصائد ما تختم بالدعاء بالخير للممدوح، أو أن تختم بحكمة تعبر عن تجربة في الحياة عاشها الشاعر، أو مثل سائر جرى على ألسنة الناس فتمثلوه في حياتهم.

ختم عدي بن الرقاع بعض قصائده في مدح الخلفاء بالدعاء، ولا يكون ذلك إلا للملوك لرغبتهم في الدعاء لهم، يقول ابن رشيقي: "وقد كره بعض الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء، لأنه من عمل أهل الضعف، إلا للملوك فإنهم يشتهون ذلك"³، يقول مختتماً قصيدة مدح فيها عمر بن الوليد⁴:

الكامل

فجزيت أفضل ما عملت مضاعفاً
وتمل حلو العيش غير ممل

أو قوله⁵:

البسيط

فزادهم ربهم خيراً وفضلهم
بخير ما فضل السلطان والأمم

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 223. ذات الأرناب: موضع، تبعج: تشقق (اللسان، مادة، بعج)، مجاج: المطر (القاموس المحيط، مادة، مج)، تلغ: العالي من الأرض، (اللسان، مادة، تلغ) شفع: خلاف الوتر، (اللسان، مادة، شفع).

² ينظر: العسكري، الصناعتين، 443.

³ ابن رشيقي، العمدة، 339/1.

⁴ عدي بن الرقاع، م.س، 72.

⁵ عدي بن الرقاع، م.ن، 120.

أو قوله مختتماً قصيدة في مدح الوليد بن عبد الملك¹:

الكامل

فالحمد والنعماءُ لله الذي جُعِلَتْ كرامتُهُ إِلَيْكَ تَوَوَّلُ

أو قوله²:

الطويل

فزادك ربَّ الناسَ عَدًّا لِفَضْلِهِ وفي كُلِّ ما أَعْطَاكَ مِنْ سِيْمَةٍ وَسُعا

وكان أحياناً يختم قصيدته بأن الله زاد فضله على الناس بتولي خلفاء بني أمية الحكم، وكانت عرفاناً من الله يحمد عليها، يقول³:

البسيط

نُعْمَى مِنْ اللَّهِ زَادَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا تُقَى وَكَانَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عِرْفَانَا

وهو صادق في حبه ومدحه لبني أمية، فهو يقول الحق ولا يندم على تشييعه لهم، فمن لم يقض بالحق ولم يعترف بالحقيقة ويذعن لها يندم، يقول⁴:

الطويل

فهذا ثنائِي صادقاً غيرَ كاذِبٍ عليهمَ وَمَنْ لَمْ يَقْضِ بِالْحَقِّ يَنْدَمِ

أو قوله⁵:

الوافر

فَصَدَّقْ مِدْحَتِي وَأَجِزْ كَرِيماً إِذَا ما عَفَّ عَنْ بَلَدٍ أَطالاً

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 209.

² عدي بن الرقاع، م، ن، 225. سيمية: صفة حسنة، (اللسان، مادة، سوم).

³ عدي بن الرقاع، م، ن، 174.

⁴ عدي بن الرقاع، م، ن، 135.

⁵ عدي بن الرقاع، م، ن، 114. العف: الكاف عن المحارم، (اللسان، مادة، عفف).

وكان لضياع جزء من شعر عَدِيّ بن الرَّقَاع سبب في ضياع بعض من خواتيم القصائد، فضياع الشعر -أحياناً- في آخر القصيدة وليس في مطلعها، ففي القصيدة الثامنة والعشرين عنونت بمديح مري بن ربيعة الكلبي¹، لكنها تخلو من أي بيت أو حتى شطر بيت يمدحه فيه، ولولا أنها ضاعت لربما وجدنا أبياتاً شعرية كثيرة ومن ضمنها خاتمة القصيدة.

4. اللغة الشعرية

اعتنى النقاد بلغة الشعر، فهي الوعاء الذي يصب فيه الشاعر معانيه، ويسكب في عواطفه، فلا بد أن تلتقي اللغة والمعنى معاً في ترجمة الفكرة وإبرازها، ويرى ابن رشيق: "أنّ اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، ويضعف بضعفه، ويقوى بقوته"². فاللفظ والمعنى ركيذتان يرتكز عليهما الشعر، وعلى الشاعر الحاذق أن يبتغي أفضل الألفاظ التي تساعد على أداء المعنى وإتمامه، فلا يصح أن يكون المعنى صائباً، واللفظ فاتراً ركيكاً وفي ذلك مدعاة إلى رفضه³، يقول عَدِيّ بن الرَّقَاع⁴:

البيسط

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ وَلَّى خِلَافَتَنَا	وَأَمْرًا خَيْرَنَا دِينًا وَأَقْوَانَا
نَحْنُ الرَّعِيَّةُ وَالرَّحْمَنُ يَحْفَظُنَا	وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ اللَّهِ تَرَعَانَا
قَضَى عَلَيْهِمْ لَهُ بِالْحَقِّ قَدْ عَلِمُوا	جَهْدَ النَّصِيحَةِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا
يَرُونَ طَاعَتَهُ لِلَّهِ رَبِّهِمْ	رَضَى وَعِصْيَانُهُ لِلَّهِ عِصْيَانَا

¹ عَدِيّ بن الرَّقَاع، الديوان، 234.

² ابن رشيق، العمدة، 124/1.

³ العسكري، الصناعتين، 133.

⁴ عَدِيّ بن الرَّقَاع، م.س، 172.

وكان يبدأ في مطالع قصائده والمقدمات الغزلية ووصف الرحلة بلغة فخمة وألفاظ جزلة مقلداً بذلك القدماء، حتى لتشعر أنها أشعار قيلت في الجاهلية، يقول في مدح عمر بن الوليد¹:

الوافر

علاني الشيبُ واشتعلَ اشتعالاً	وقد غشيَ المفارقَ والقذالاً
وما كنتَ تلهو في الليالي	بمِثْلِ البكرِ تتبّعُ الغزالاً
وداويةً يحارُ الركبُ فيها	كأنَّ على مَخارِمِها جِلالاً
قطعتُ بفتيةٍ ومُخزَماتٍ	يُنَاطِحُنَ الموارِكَ والجِلالاً
يُجهِضُنَ الأجنَّةَ مُحفَداتٍ	بحيثُ تُرشِحُ الرُبُدُ الرِّثالاً
تَظَلُّ إذا الرِّحالُ وُضِعنَ عنها	حراجيجاً كأنَّ بها مُلالاً

ثم تتحول اللغة في القصيدة تحولاً كلياً إلى الألفاظ السهلة السليسة، حيث يقول²:

أنتُ عُمرًا فلاقَت من نداءهُ	سجالَ الخيرِ إنَّ له سجالاً
ألسْتُ إذا نُسبتَ فتى فُريشٍ	وأكرمَها وأفضلَها رجالاً
أبتُ لكمُ مواظنُ طبيباتٍ	وأحلامُ لكمُ تَرنُ الجبالاً

ومال عديّ بن الرقاع في ألفاظه إلى الغريب والنادر، فقد عمد اللغويون إلى اختيار مجموعة من الشواهد اللغوية من شعره، فقد وضع ابن منظور في اللسان خمسة وتسعين بيتاً من الشعر وزعها على خمس وستين مادة³، يقول عديّ⁴:

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 108-112. يجهضن: يلقيان أولادهن من شدة السير وبُعد المدى (اللسان، مادة، جهض)، محفدات: مسرعة، تقارب الخطو، (اللسان، مادة، حفد)، تُرشح: تربي، أي تدفع الناقة ابنها ليمشي وتتقدمه ليلحق بها أول قيامه قبل أن يتشدد، (اللسان، مادة، رشح)، الريد: النعام، (اللسان، مادة، ريد)، الرئال: أفراس النعام، (اللسان، مادة، رأل)، حراجيج: جمع حُرْجُوج وحُرْجِيج، وهي الناقة الطويلة وقيل الضامرة، وقيل الوقادة الحادة، (اللسان، مادة، حرج)، الملال: عرق الحمى، (اللسان، مادة، ملل).

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 108-112. سجال: الرجل الجواد، أو تقال عند الحرب، فيوم لك ويوم عليك، وأصلها المساجلة في إحضار الماء من البئر (اللسان، مادة، سجل).

³ ياسين الأيوبي، معجم شعراء لسان العرب، 279.

⁴ عديّ بن الرقاع، م.س، 41.

الرمل

عياياء¹ لم يشهدْ خُصوماً ولم يقْدْ
ركاباً إلى أكوارها حين تعطفُ

ويقول أيضاً في وصف تحركات المحبوبة عندما ارتحلت، يصور الأماكن التي مرّت بها في
أثناء سفرها²:

الكامل

أصعدنَ في وادي أثيدةَ بعدما
عسفَ الخميّلةَ واحزأل³ صواها

أو قوله⁴:

الخفيف

حوشب⁵ الصُّلبِ أفرعتْ كنفاهُ
في محاني ضلوعه إيجارُ

والناظر في ديوان عديّ بن الرّقاع يجدُ كمّاً هائلاً من الألفاظ الغريبة وأحياناً الغريبة جداً،
فبعض الألفاظ لم نجد لها تفسيراً في كثير من معاجم اللغة إلا ما ندر، وفي القصيدة الأخيرة من
الديوان برزت فيها الروح القصصية والقصص الديني من خلال الألفاظ، بالرغم من أنها قليلة في
شعره، فقد حكى في جزء منها⁶ قصة سيدنا نوح عليه السلام في السفينة، يقول⁷:

الطويل

لقد كان في نوحٍ وداودَ عبرةً
لمنْ يأتسي بالنّاسِ أو يتغيّرُ
رأى الله نوحاً فاصطفاهُ كرامةً
وكان امرءاً من أمةٍ ليس يكفرُ

¹ عياياء: لا يستطيع النطق السليم، (اللسان، مادة، عيا).

² عديّ بن الرّقاع، الديوان، 99. أصعدن: ارتفعن مشرفات، (اللسان، مادة، سعد)، أثيدة: موضع، عسف: السير بغير
هداية والأخذ على غير الطريق، (اللسان، مادة، عسف)، الخميّلة: رمل سهل يُنبِت الشجر والعنب، (اللسان، مادة،
خمل).

³ كلمة احزأل، وتعني انقبض، كلمة نادرة قليل استخدامها.

⁴ عديّ بن الرّقاع، م.س، 180.

⁵ الحوشب: منتفخ الجنين (اللسان، مادة، حشب)

⁶ القصيدة التاسعة والعشرون والأخيرة في الديوان، سقط من أول القصيدة وآخرها عدد من الأبيات، 239-241.

⁷ عديّ بن الرّقاع، م.س، 240.

فلما علا الماء الجبالَ تحاملتُ
سفينَةُ نوحٍ وهوَ فيها يكبِّرُ
فأفرعَ بالجوديِّ نوحٌ وقدَّ بدا
لَهُ ذروةٌ منْ جانبِ الطودِ مَجْرُرُ

ثم أتى بعدها على قصة سيدنا سليمان عليه السلام، فتضمّنت القصيدة أيضاً ألفاظاً دينية مقتبسة من القرآن الكريم، يقول¹:

الطويل

وكانَ سليمانُ بنُ داودَ عبَّدتُ
وملِّكَ ما لا يملكُ الناسُ قبله
لَهُ الجنُّ تَبَّي دونهُ وتُسخرُ
ولا بعدَهُ في الدَّهرِ والدَّهرِ أعصرُ

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 241.

المبحث الثالث: الأسلوب

الأسلوب هو الطريقة التي يعبر بها عن عناصر العمل الأدبي لتكوين الوحدة الموضوعية، وهو الوسيلة اللغوية لنقل الأفكار والعواطف بدقة وقوة ووضوح وجمال¹. وللأسلوب صفات رئيسة فهي الوضوح والقوة والجمال، وهي صفات عامة يخضع لها كل أسلوب، فالوضوح للعقل، والقوة للشعور، والجمال للذوق².

1. الاقتباس

عَدِيّ بن الرِّقَاع شاعرٌ أموي كان مناصراً لبني أمية وخلفائهم، فكان من خلال شعره يضمن شيئاً من القرآن الكريم للإشادة بخلفاء بني أمية الذين هم مختارون من الله لنشر رسالة السماء، وسخرهم الله للحفاظ على حقوق العباد من الضياع، فما كانوا يقومون به من أمور فهي تسخير من الله لهم، يقول مادحاً عبد الملك بن مروان³:

المتقارب

أعينَ بنا ونُصرنا بهِ ومنَ ينصرِ اللهُ لا يُغلبِ

واقْتَبَسَ هذا المعنى من الآية: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾⁴.

وقد كثر الاقتباس من القرآن الكريم في شعر عَدِيّ بن الرِّقَاع في قصائده عن عمر بن عبد العزيز، لأن عمر كان يميل إلى الأشعار ذات الطابع الديني البعيدة كل البعد عن الأطلال والتغزل بالمرأة، والمدح الكاذب والنفاق الممجوج، فقد مرّ في حديثنا عن أشعار عَدِيّ بن الرِّقَاع في عمر بن عبد العزيز كيف أنه منع دخول الشعراء إلى مجلسه حتى يقولوا شعراً ملتزماً يوافق مبدأه، فقد قال عَدِيّ مقتبساً من القرآن الكريم في إحدى قصائده في مدح عمر بن عبد العزيز⁵:

¹ ينظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، 254.

² ينظر: أحمد الشايب، م.ن 256.

³ عَدِيّ بن الرِّقَاع، الديوان، ملحق الديوان، 249.

⁴ آل عمران، 160.

⁵ عَدِيّ بن الرِّقَاع، م.س، 118.

البسيط

لَهُ عَلَيَّ أَيَادٍ لَسْتُ أَكْفُرُهَا وَإِنَّمَا الْكُفْرُ أَلَا تُشْكِرَ النَّعْمُ

واقْتَبَسَهَا الشَّاعِرُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لَيْنُ شُكْرُكُمْ لَا زَيْدَ نَفْسِكُمْ وَلَيْنُ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾¹.

وفي موضع آخر يقول عدي²:

الطويل

غَزَا عُمَرُ الْمَنْصُورُ نَفْسًا وَوَالِهًا وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَنْصُرِ اللَّهَ نَاصِرُ

فاقتبس من الآية الكريمة ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾³.

وقال في أحد الأبيات في مدح الوليد بن عبد الملك⁴:

الكامل

وَقَضَى لَكَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ وَقَضَاءُ رَبِّكَ نَافِذٌ مَفْعُولٌ

فقد اقتبس معناه من الآية الكريمة ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾⁵.

¹ إبراهيم، 7.

² عدي بن الرقاع، الديوان، 201. واله: حزين على فقد ولده، (اللسان، مادة، وله)، وهذا البيت والأبيات التي تلتها تحدثت عن غزو عمر بن عبد العزيز الروم، بعد اعتدائهم على أرض المسلمين وقتل عدد منهم، وكنت أشرت إلى ذلك في إطار حديثي عن شعر المدح في عمر.

³ آل عمران، 160.

⁴ عدي بن الرقاع، م.س، 208.

⁵ الأنفال، 8.

وفي حديثه عن الرعد عندما يقصف وتجري السحاب الثقال بالمطر يقول عدي¹:

الكامل

بِمَجْرٍ مُرْتَجِزٍ الرَّوَّاعِدِ بَعَجَتْ
عُرُّ السَّحَابِ بِهِ الثَّقَالُ مَزَادَهَا

من الآية الكريمة ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾².

وقال في آخر قصيدة في الديوان³:

وكان سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عُبِدَتْ
لُهُ الْجِنُّ تَبْنِي دُونَهُ وَتُسَخَّرُ

فاقتبس في هذا البيت من الآية ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ﴾⁴.

وتأثر الشاعر عدي بن الرقاع بمن قبله من الشعراء في شعره، فقد ضمّن أجزاء من بعض

أبياته الشعرية شيئاً من أبيات قبيلت لشعراء قبله، فقد تأثر بامرئ القيس في بيته الذي في معلقته⁵:

الطويل

وفرع يزِينُ المَتَنَ أسودَ فاحمٍ
أثيثِ كَقَنَوِ النَّخْلَةِ المَتَعْتَكِلِ

فقال عدي⁶:

الكامل

الواهبُ القَيْنَاتِ أمثالَ الدُّمَى
مُتَسَجِّياتِ ظلالِ أسودَ فاحمٍ

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 85. مرتجز: ارتجز الرعد: صات، (القاموس المحيط، مادة، رجز)، بعجت: انفرج عنها الودق والمطر الغزير، (اللسان، مادة، بعج).

² الرعد، 12.

³ عدي بن الرقاع، م.س، 241.

⁴ النمل، 17.

⁵ امرؤ القيس، الديوان، 221.

⁶ عدي بن الرقاع، م.س، 127.

وأيضاً يقول امرؤ القيس¹:

الطويل

وشحم كهدابِ الدمقسِ المفتلِ

فظلَّ العذارى يرتمين بلحمِها

أما عديّ بن الرقاع فقال²:

بناناً كهدابِ الدمقسِ ومعصماً

وإذا سئمت طولَ الجلوسِ توسّدت

فمصطلح (هداب الدمقس) وهو نوع من الحرير ضمنه عديّ في شعره، وأخذ هذا اللفظ من

معلقة امرؤ القيس.

2. التكرار

وهي ظاهرة لغوية عرفت في العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا، ثم استخدمها القرآن الكريم، ووردت في الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعره ونثره.

يقول ابن رشيق "وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل"³، ويعد التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي، وهو مصطلح عند البلاغيين يعني تكرار الكلمة أو اللفظة إما للتوكيد أو التهويل أو التعظيم أو التلذذ بذكر المكرر⁴.

¹ امرؤ القيس، الديوان، 182.

² عديّ بن الرقاع، الديوان، 195.

³ ابن رشيق، العمدة، 73/2.

⁴ ابن معصوم، أنوار الربيع، 35.

وفي ديوان عديّ جاء التكرار قليلاً، وكان التكرار عنده يرد بارزاً في الكلمات، في مثل قوله¹:

الكامل

يُفَرِّقُهُمْ طَوْرًا وَطَوْرًا يُلْفُهُمْ كما لفَّ شَدَّانَ القِدَاحِ المِقَامِرُ

ويقول في مدح الوليد بعد انتصاره يوم المرج²:

البسيط

فَلَا تَرَى نَائِلًا يَجْرِي لِنَائِلِهِ وَلَا كُبْنِيَانِهِ فِي الأَرْضِ بُنْيَانَا

فقد كرر كلمتي (نائل وبنيان) في بيت شعري واحد، فهو يريد أن يؤكد الكرم والجود والعتاء الذي يتصف به الخليفة، وأيضاً يريد تأكيد قيامه ببناء قبة الصخرة المشرفة، هذا البنيان الذي لا يشبه أيّ بنيان لورعة بنائه وتصميمه، ففي الأبيات التي تتبع هذا البيت يبدأ بذكر أعمال الخليفة الجليلة في خدمة الإسلام والمسلمين.

ومثله بيت آخر قاله في القصيدة التي مدح بها الأسوار³:

الخفيف

وَإِذَا مَا تَضَعَّضَتْ نَارُ حَرْبٍ رَفَعُوا نَارَ حَرْبِهِمْ فَاسْتَثَارُوا

وجاء التكرار في كلمتي (نار وحرب) للتتويه بشأن المخاطب وعلوّ همته في إخماد نار الأعداء، وفي المقابل بقيت نار حربهم مشتعلة فلا يوازيها حرب، ويلاحظ أيضاً تكرار حرف الراء في هذا البيت، فهو حرف يدل على الحركة، وهو في الأصل حرف متحرك ينتج من خلال ارتفاع اللسان نحو غار الفم، فينتج حرف الراء، والواضح أن النار والحرب والاستثارة كلها تحتاج إلى الحركة.

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 200.

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 172.

³ عديّ بن الرقاع، م.ن، 185. تضعضعت: خضعت وتذلت، (اللسان، مادة، ضعضع)، استثار: هاج من الغضب، (اللسان، مادة، ثور)

3. المحسنات البديعية

البديع هو "علمٌ تُبحث فيه وجوه تفيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام، ووضوح الدلالة على المرام، ويفيد في إظهار رونق الكلام حتى يلج الأذن بغير إذن، ويتعلق بالقلب من غير كد"¹.

وقال ابن رشيق إنَّ "العرب لم تنظر في أعطاف شعرها بأي تجانس أو تطابق أو تقابل، فتنزل لفظة للفظ، أو معنى لمعنى، وإنما كانت تطلبه أشرف المعنى وصحته"²، ويرى بعض النقاد "أن تمام شاعرية الشاعر، واكتمال شهرته، لا يأتیان إلا إذا ثبت في ميدان البديع"³.

ورد في شعر عديّ بن الرقاع بعض المحسنات البديعية، فهي لم تكن كثيرة في شعره، فالشاعر الأموي لم يلتفت كثيراً إلى أنواع المحسنات البديعية، ولم يعمد إلى تضمينها في شعره، فكانت ترد عفوَ الخاطر، "وإن كانت تضيف على شعره جمالاً وروعة، وتعين في تزيين الصورة التي ينقلها إلى السامع، إلا إنه لم يكن شديد الحرص على استخدامها، فلم يقصد إليها قصداً"⁴.

أ. الطباق

الطباق في شعر عديّ بن الرقاع من أكثر أنواع المحسنات البديعية وروداً، فلا تكاد قصيدة من قصائد الديوان تخلو منه، بل يبدو جلياً في معظم قصائده، ويسمى هذا الفن المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ⁵. ورأى ابن رشيق أن على الشاعر الإتيان بالطباق سهلاً خفيف الروح قليل الكلفة، ليكون أرسخ في السمع وأعلق في القلب⁶. فمنه قوله⁷:

¹ محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1/174.

² ابن رشيق، العمدة، 1/108.

³ أحمد موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، 372.

⁴ تحسين محمد الصلاح، عديّ بن الرقاع، حياته وشعره، 152.

⁵ ينظر: ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، 4/31.

⁶ ابن رشيق، العمدة، 2/11.

⁷ عديّ بن الرقاع، الديوان، 43.

الرمل

ورعابيبُ حِسَانُ كالدُّمَى لا يُنلَنُ الشَّيْبَ لذَاتِ الشَّبَابِ

وقوله¹:

الخفيف

قدْ فَشَا فِي مُضْمَرِ الغُسْلِ مِنْهُ وَضَحُ الشَّيْبِ بَعْدَ غَضِّ الشَّبَابِ

فالطباق في البيتين بين كلمتي الشيب والشباب، وقد شغل موضوع الشباب والشيب في ديوان عديّ حيزاً كبيراً، لبيّن مدى تبدّل حاله من القوة والفتوة إلى الضعف.

وقال مطابقاً في وصف الأمكنة التي يسير عليها السّقب، أي ابن الناقة²:

الخفيف

يمتطي كلَّ صَعْبَةٍ وَذلولٍ سَمَنٌ خَالِدٌ عَلَى الأصْلَابِ

فهو عند سيره يقطع كل أرض جبلية وعرة يصعب السير فيها، وأحياناً يسير في أرض سهلية يسهل السير فيها، والطباق بين كلمتي صعبة وذلول، ليدلّ على أن ابن الناقة الذي ركبه الشاعر لا توقف حركته الأرض السهلية ولا الأرض الوعرة.

وقال في حديثه عن المحبوبة³:

الكامل

وَلئنْ فَعَلْتِ لَقَدْ عَلَّتِي كَبْرَةٌ وَأَطَلْتِ صرْمَكَ فَاهْجُرِينِي أَوْ صِلِي

¹ عديّ بن الرّقاع، الديوان، 52.

² عديّ بن الرّقاع، م.ن، 58.

³ عديّ بن الرّقاع، م.ن، 60.

والطباق بين كلمتي اهجريني أو صلي، فالهجران والوصال دائماً الورد في الشعر العربي
بعامة، وعند عديّ بن الرقاع على وجه الخصوص، فهو يدعو محبوبته أن تهجره إلى الأبد أو أن
تصله.

ويقول عن دار المحبوبة التي أصابها المحل والخراب بعد أن كانت مخصية¹:

البيسط

وَأْمَحَلَّتْ بَعْدَ إِخْصَابٍ يَدْرُ بِهَا مُنَوَّرٌ رَشَحَتْ أَطْفَالَهُ الدِّيمُ

وجاء هذا الطباق في حديثه عن رحيل المحبوبة وفراقها وبينها، فبعدما كانت أرضها خصبة
مخضرة أصابها المطر الدائم الذي يدوم أياماً ولكنه هادئ في سقوطه، تحولت هذه الأرض إلى
محلة جدياء لا نبات فيها، حيث ربط الشاعر بين بقاء المحبوبة، فتبقى الأرض مخضرة، وبين
رحيلها، فتجدب الأرض وتقفّر.

وفي مدح الوليد بن عبد الملك تحدث عن بيته قائلاً²:

الكامل

فَإِذَا لِبَيْتِكَ حِينَ عَدَّ عِمَادُهُ عَرَضٌ يَزِيدُ عَلَى الْبُيُوتِ وَطُولُ

فهنا يتحدث عن سعة قصور الوليد التي تتسع عرضاً وطولاً تزيد سعتها عن غيرها من
البيوت، فطابق بين العرض والطول.

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 115. يدرُّ: يكثر بها، (اللسان، مادة، درر)، منور: نبات له زهر أو نوار، (اللسان، مادة،
نور).

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 208.

وقوله في الحكمة¹:

المتقارب

فأَيُّ عَجَائِبِ هَذَا الزَّمَا م ن تَتَكْرَرُ أَوْ أَيُّهَا تَعْرِفُ

واستخدم عديّ طباق السلب، أي أن يأتي بالطباق بكلمتين إحداهما مثبتة والأخرى منفية، كقوله²:

الكامل

قَدْ كَانَ أَهْلُكَ مَرَّةً لَكَ زِينَةً فَاسْتَبَدَلُوا بَدَلًا وَلَمْ تَسْتَبْدَلِي

فكان الاختلاف بين المحبوبة ودارها، فالمحبة تركت الدار ورحلت، وفي المقابل لم تستبدل

دارها بدلاً.

وأيضاً قوله³:

تَصْطَادُ بِهَجْتِهَا الْمَعْلَّ بِالصَّبَا عَرَضًا فَتَقْصِدُهُ وَلَنْ يَصْطَادَهَا

فالبیضاء الخريدة التي تفيض حسناً وحياءً وخجلاً تصطاد الذي أصابته علة الصبا فتقتله من

الحب، وفي المقابل هو لا يستطيع النيل منها.

¹ عديّ بن الرقاع، الديوان، 213.

² عديّ بن الرقاع، م.ن، 69.

³ عديّ بن الرقاع، م.ن، 83. بهجتها: الحسن، (اللسان، مادة، بهج)، المعلل: الذي يشرب الشربة الثانية، أو المريض لشدة الهيام، (اللسان، مادة، علل)، عرضاً: طمعاً، (اللسان، مادة، عرض).

ب. المقابلة

ومن الفنون البديعية المعنوية ومعناها "أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب¹، وتكمن قيمة هذا الفن في إعطاء أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً².

وقد ورد في قصائد ديوان عديّ بن الرقاع بعض الأمثلة على المقابلة ولكنها قليلة إذا قورنت بالطباق، ومن أمثلة ذلك³:

البيسط

يرون طاعتهُ اللهُ ربهمُ رضى وعصيانهُ اللهُ عصيانا

فقد قابل بين طاعة العباد للوليد ينالون منها رضا الله سبحانه وتعالى، وفي المقابل إذا عصوا الخليفة كانوا عصاة لربهم، فقد ربط الشاعر بين طاعة العباد للخليفة وبين طاعتهم الله بأسلوب محكم ورائع.

ومن أمثلة ذلك عندما تحدث الشاعر عن العراك الذي دار بين حمار الوحش وأتانه، فعندما كان يعلوان مكاناً صلباً ذهبت العجاجة التي يثيرها عراك الحوافر، وعندما يسهلان ويطأن أرضاً ترابية تعود العجاجة والغبار من جديد، يقول عدي⁴:

الكامل

تطوى إذا علواً مكاناً جاسياً وإذا السناكبُ أسهلتُ نشرها

فقد قابل بين (تطوى / نشرها) و(جاسياً / أسهلت).

¹ ينظر: العسكري الصناعتين، 337.

² ابن رشيق، العمدة، 15/2.

³ عديّ بن الرقاع، الديوان، 172.

⁴ عديّ بن الرقاع، م.ن، 105.

وفي حديثه عن حتمية الموت؛ وأنه لا يموت الإنسان إلا إذا قُدِّرَ له ذلك قال عَدِي¹:

البيسط

وما يُوخِرُ موتاً عاجلاً هَرَبٌ ولا تَعْرُضُ بأسٍ زاده سَرَعَا

فمهما حاول الإنسان الهرب من الموت فسوف يموت، ولن تنفعه محاولات الهرب لأن أجله قد أتى، وفي المقابل لو تعرض الإنسان لبأسٍ يصعب النجاة منه فلن يموت إلا إذا قُدِّرَ الله له ذلك.

وجاءت المقابلة عنده في بيتين، يقول عَدِي²:

البيسط

كَمْ مِنْ فِتْيٍ قَدْ رَأَيْنَا لَا سِوَامَ لَهُ ثُمَّ اقْتَنَى بَعْدَ ذَلِكَ الْمَالَ وَاحْتَبَرَا
وَمُكْتَبِرٍ كَانَ ذَا مَالٍ فَأَذْهَبَهُ تَفْرِيقُ مَا يُذْهَبُ الْأَمْوَالُ فَافْتَقَرَا

فهذان البيتان من أروع ما قيل في الديوان من الحِكم، فتبدل الزمان على المرء من سنن الله في الكون، وغنيُّ اليوم فقيرٌ الغد، فبعدَ زمنٍ يتبدل حال الغني فينقلب فقيراً، ويعود الفقير غنياً بعدما وجد من الفاقة وسوء الحال.

وقابل بين أحوال الناس في النفع والخير، فمنهم من يكون نافعاً لنفسه ولغيره ولمجتمعه، وآخر لا يكون مؤثراً فلا يرجى خيره، ولا يُخاف شره، يقول عَدِي³:

وَالنَّاسُ مِنْهُمْ نَافِذٌ مُنْقَلَبٌ وَتَقَلُّبٌ فِي الْأَرْضِ غَيْرُ غِنَاءٍ

فقد حققت المقابلة مؤداها أكثر من غيرها في الديوان، فيستطيع القارئ أو السامع أن يشاهد صورة حية حقيقية ينقلها لنا عَدِي في أجمل ما قيل في ديوانه.

¹ عَدِي بن الرَّقَاع، الديوان، 218.

² عَدِي بن الرَّقَاع، م.ن، 187. سوام: الإبل الراعية، أو المال الراعي، (اللسان، مادة، سوم)، احتبر: أي أصبح يعيش في النعمة التامة، (اللسان، مادة، حبر).

³ عَدِي بن الرَّقَاع، م.ن، 164.

ت. الجناس

هو اتفاق اللفظتين في النطق واختلافهما في المعنى، ويكون في الأسماء والأفعال والحروف وهو قسمان: تامّ، وناقص¹. وقد اهتم كثير من الشعراء بالجناس لما له من أثر موسيقي في الشعر، وذلك من خلال ترديد الأصوات في البيت ما يزيد من النغم، ويسترعي الأذان كما يسترعي العقول والقلوب في موسيقاه، فهو مهارة نظم الكلام، وبراعة في الترتيب والتنسيق².

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن التجنيس لا يستحسن إلا إذا كان موقع اللفظتين من العقل موقعاً حسناً، ومقصد الجامع بينهما مقصداً بعيداً، وأن المعنى هو الذي يمنح الجناس فائدته، إذ لو كانت الفائدة باللفظ وحده لما كان في أي نوع من الاستحسان³. ورأى ابن رشيق "أن على الشاعر الإتيان بالجناس فضل على المعنى سهلاً لطيفاً من غير تكلف في ذاته، وبه يتم المعنى"⁴.

❖ الجناس التام

هو أن تتفق الكلمتان في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها، وتختلفان في المعنى، فالتجنيس المستوفى منه المنفق في الصورة من حلى الشعر⁵، وهو قليل جداً في ديوان عدي بن الرقاع، ومما ورد في شعره من الجناس التام قوله⁶:

البيسط

يَدْعُو إِلَيْهِ بُغَاةُ الْخَيْرِ نَائِلَةٌ إِذَا تَجَهَّزَ مِنْهُ نَائِلٌ قَفَلًا

فجناس بين كلمتي (نائله) و(نائل) جناساً تاماً فالأولى بمعنى العطاء أو الأعطيات التي يمتن بها الخليفة على من يحب، والثانية اسم فاعل من نال الذي الشخص الذي يستعطي من الخليفة.

¹ ينظر فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، 297.

² ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 44-45.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 4-5.

⁴ ابن رشيق، العمدة، 329/1.

⁵ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، م.س، 5.

⁶ عدي بن الرقاع، الديوان، 80.

وأيضاً قوله¹:

الكامل

للحمد فيه مذاهبٌ ما تنتهي ومكارمٌ يعلن كلُّ مكارمٍ

فمكارم الخليفة تعلو مكارم غيره ولا يمكن الوصول إليها، ولن تعلوها مكارم غيرها مهما علّت.

❖ الجناس الناقص

وهو أن تختلف الكلمتان في عدد الحروف أو ترتيبها²، وورد في ديوان عدي بن الرقاع كمّ هائل من هذا النوع البلاغي، ومن أمثلة ذلك³:

المتقارب

وتتشرُّه في البلدِ الرُّوا م ةُ والقُلصُ الشُّسْفُ العُسْفُ

فجانس بين كلمتي (الشُّسْفُ) و(العُسْفُ)، وهما صفتان للإبل، فقد أضفى هذا الجناس على البيت نغمة موسيقية قوية، منح للبيت جماله الخاص.

وقال في مدح الوليد بن عبد الملك⁴:

الكامل

أطْفَاتُ نِيرَانَ العَدُوِّ وَأوقِدَتْ نارٌ فَدَحَّتْ بِرَاحَتَيْكَ زِنَادَهَا

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 126.

² ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 91/1.

³ عدي بن الرقاع، م.س، 214. القُلصُ: أول ما يُركب من إناث الإبل إلى أن تُثني، فإن أُنثت فهي ناقة، (اللسان، مادة، قُلص)، الشسْفُ: اليابسة من الضمر من طول السفر (اللسان، مادة، شسْف)، العسف: المتعبة من السير، (اللسان، مادة، عسف).

⁴ عدي بن الرقاع، م.ن، 94.

فالنيران الأولى نيران الحاسدين من الأعداء، والنار الثانية النار التي تتبر الطريق وتستجيب للذي ندب إليه، فالخليفة واري الزند أي معطاء والذي يدل على ذلك البيت الذي بعده إذ يقول¹:

الكامل

فبَدَتْ بِصِيرْتِهَا لِمَنْ تَبِعَ الْهُدَى وَأَصَابَ حَرُّ شَرَارِهَا حُسَادَهَا

وقوله متغزلاً²:

الكامل

صَادَتْكَ أُخْتُ بَنِي لُؤَيٍّ إِذْ رَمَتْ وَأَصَابَ سَهْمُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا

فقد جانس بين كلمتي (رمت) و(رمى).

ومن الأمثلة التي احتوت على جناسين ناقصين قوله³:

البيسط

صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الْجَمْعَا

فقد جانس بين(صلى) و(الصلوات)، وبين (أجمعوا) و(الجمعا).

ث. حُسن التَّقْسِيمِ

وورد في ديوان عدي بن الرقاع بعض الأبيات التي احتوت على ما أطلقه البلاغيون حسن التقسيم، فهو يعطي بيت الشعر جرساً موسيقياً، يستوفي كل معاني الموضوع، فمن أمثلة ذلك عند الشاعر⁴:

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 94.

² عدي بن الرقاع، م.ن، 96.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 219.

⁴ عدي بن الرقاع، م.ن، 142. الظليم: الخاضب من النعام، (اللسان، مادة، خضب)

الخفيف

ذَابِلٍ شَاخِصٍ لَهُ مَتْنٌ ظَبِّيٌّ وَنَدَاتَا عَيْرٍ وَسَاقَا ظَلِيمٍ

وفي موضع آخر من الديوان جاء بيت من الشعر مقسماً صفات المحبوبة على قبائل العرب، فالكعبان لقبيلة قضاة، والحشا لقبيلة كندة، والأطراف لقبيلة خزاعة، والفم لقبيلة طيء، فهي جمعت جميع الصفات التي يحبها الشاعر فيها، يقول¹:

الطويل

قُضَاعِيَّةَ الْكُعْبَيْنِ كِنْدِيَّةَ الْحَشَا خُزَاعِيَّةَ الْأَطْرَافِ طَائِيَّةَ الْفَمِ

وبعد أن تحدث عن صفاتها الجسدية تحدث عن صفاتها المعنوية وأخلاقها، ففي البيت الذي يليه تحدث عن أن محبوبته لها حكم لقمان، وسورة يوسف، ومنطق داود وعفة مريم، يقول²:

الطويل

لَهَا حُكْمُ لُقْمَانَ وَسُورَةُ يُوسُفَ وَمَنْطِقُ دَاوُدَ وَعِفَّةُ مَرْيَمَ

وفي مدحه الوليد بن عبد الملك قسم بين اليد التي يضرب بها أعداءه ويخاف عقابها، وفي المقابل اليد الأخرى التي يعطي بها ويجزل بها الأعطيات، يقول عدي³:

الكامل

وَلَهُ يَدَانِ يَدٌ يُخَافُ عِقَابُهَا وَيَدٌ تُحَلِّبُ بِالنَّدىِ وَتُنِيلُ

¹ عدي بن الرقاع، الديوان، 268.

² عدي بن الرقاع، م.ن، 268.

³ عدي بن الرقاع، م.ن، 207.

الخاتمة

خلصت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

- 1- إن الشاعر عديّ بن الرقاع العاملي كان من شعراء الخلفاء بحق كما قال الوليد بن عبد الملك، فقد احتوى ديوانه على قدر لا بأس به من القصائد والأبيات المفردة في مدح بني أمية وهجاء خصومهم.
- 2- قلة الاهتمام بشعر عديّ بن الرقاع مقارنة بغيره من شعراء الحزب الأموي خلال القرن الهجري الأول كان بادياً في معظم المصادر التي عدت إليها، بالرغم من أنه عاش في قصور الأمويين، ولربما قلة أشعاره أو ضياع جزء من الديوان كان السبب الرئيس في ذلك.
- 3- كان التركيز في الشعر السياسي على خلفاء وأمرأء بعينهم، وقلّ في غيرهم، فمثلاً؛ كان التركيز على الوليد بن عبد الملك أكثر من سليمان بن عبد الملك على الرغم من أن الشاعر عاصر الاثنين، أما في مدح الأمرأء فقد ركّز الشاعر على مدح عمر بن الوليد بن عبد الملك، ولم يتم التركيز على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك أخي عمر بن الوليد.
- 4- استطاع عديّ بن الرقاع من خلال شعر السياسة أن ينقل لنا صورة عن أحداث النصف الثاني من القرن الهجري الأول، وهي حقبة حياة الشاعر، فقد صور معركة مرج راهط، وواقعة دير الجاتليق التي قتل فيها مُصعب بن الزبير، وغزو الطوّانة، وغزوات مسلمة بن عبد الملك على الروم، بقوالب شعرية جديدة، فكان ديوان شعر عديّ بن الرقاع وثيقة تاريخية تضاف إلى غيرها من الوثائق التي سبقته.
- 5- عديّ بن الرقاع العاملي شاعر وصّاف ماهر استطاع أن يرسم صورته، واستطاع أن يجلب الصورة المناسبة لممدوحه بما يستحقوا أن يوصفوا به، سواء على سبيل الاستعارة أو التشبيه أو غيرها من فنون البديع كالطباق الذي بدا جلياً في ديوانه، إضافة إلى أسلوبه ولغته البارزة في ديوانه.

ثانياً: التوصيات:

1- أوصي بأن يصرف الدارسون شيئاً من الاهتمام بأولئك الشعراء المغمورين، فقد طغت موجة المشاهير العارمة على الشعراء المقلّين، وهي بذلك تكون قد أغفلت جزءاً من الأدب في العصر الأموي، فلتجارب الشعراء المغمورين الشعريّة والذاتية أهمية لا تقل قيد أنملة عن تجارب الشعراء الآخرين.

2- الديوان يشكّل في مجمله معجماً لغوياً للألفاظ الغريبة والموغلة في البداوة، فأوصي بعمل دراسة لغوية شاملة للألفاظ الواردة في الديوان.

3- نسخة الديوان التي حققت في الثمانينات بحاجة إلى إعادة تنقيحها وتحسينها والاعتناء بها؛ لأن بعض الأبيات الشعريّة غير مشروحة، والكثير من المفردات غير موضحة، والكثير من الأماكن غير مبينة، كما أن كثيراً من الأبيات بحاجة إلى ضبطها بصورة أفضل، فقد عدت إلى معاجم اللغة ومعاجم البلدان لتبيينها في هذه الرسالة، فأوصي بتحسين النسخة المحققة مع كل التقدير للمحققين على جهودهما، فإنني ومن خلال تتبعي للديوان شعرت أنها بحاجة إلى جهد إضافي يضاف إلى جهود المحققين.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر

- 1- ابن الأثير، نصر الله بن محمد (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1990م.
- 2- ابن الأثير، علي بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، 1982.
- 3- الأخطل، غياث بن غوث (ت 92 هـ)، الديوان، تحقيق: إيليا الحاوي، بيروت: دار الثقافة، د.ت.
- 4- الأصفهاني، علي بن الحسين، (ت 365 هـ)، الأغاني، ط1، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1927م.
- 5- الأصمعي، عبد الملك بن قريب الباهلي (ت 216 هـ)، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاکر وعبد السلام هارون، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1955م.
- 6- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ)، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م.
- 7- البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت 279 هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة: دار المعارف، 1959م.
- 8- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (ت 231 هـ)، الديوان، تحقيق محمد عبد عزام، القاهرة: دار المعارف، 1964م.
- 9- التقفي، عمرو بن حبيب، (ت 29 هـ) الديوان، صنعة أبي هلال العسكري، تقديم صلاح الدين المنجد، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1970م.
- 10- الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت 255 هـ)، البيان والتبيين، حققه وشرحه حسن السندوبي، ط1، القاهرة: المطبعة الرحمانية، د.ت.

- 11- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت 471 هـ):
أ. أسرار البلاغة، علّق عليه: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر،
د.ت.
ب. دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة: مكتبة القاهرة، 1969م.
- 12- جرير، حذيفة بن عطية (ت 110 هـ)، الديوان، جمع تحقيق يوسف عيد، بيروت: دار الجيل،
د.ت.
- 13- الجمحي، محمد ابن سلّام (ت 231 هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر،
القاهرة: دار المعارف، 1952م.
- 14- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت 393 هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق
أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1990.
- 15- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي، (ت 749 هـ)، خزنة الأدب وغاية الأرب،
تحقيق كوكب دياب، ط1، بيروت: دار صادر، 2001م.
- 16- ابن حزم، علي بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام
هارون، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1971م.
- 17- حسان بن ثابت الأنصاري، (ت 54 هـ)، الديوان، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي،
بيروت: دار الكتاب العربي، 1981م.
- 18- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت 626 هـ) معجم البلدان، تحقيق عبد العزيز
الجندي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1997م.
- 19- الخفاجي، محمد بن سعيد، (ت 466 هـ)، سر الفصاحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،
1982م.
- 20- ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت 681 هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق
إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د.ت.
- 21- ابن دريد، محمد بن الحسن، (ت 321 هـ)، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة:
مطبعة السنة المحمدية، 1958م.
- 22- الذهبي، أحمد بن محمد، (ت 748 هـ)، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب
الأرناؤوط، ط11، بيروت مؤسسة الرسالة، 1996م.

- 23- الراعي النميري، عُبيد بن حصين، (ت 90 هـ)، الديوان، جمع وتحقيق: راينهت فايرت، ط1، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1980م.
- 24- ابن رثيق، الحسن بن رثيق القيرواني (ت 290 هـ)، العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972م.
- 25- الزبيرى، مُصعب بن عبد الله، (ت 236 هـ)، نسب قریش، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، 1953م.
- 26- الزمخشري، محمود بن عمر، (ت 538 هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، بغداد: مطبعة العاني، 1976م.
- 27- ابن الشجري، هبة الله بن علي، (ت 542 هـ):
 أ. الأمالي، تحقيق محمود محمد الطناحي، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1992م.
 ب. الحماسة الشجرية، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1970م.
- 28- الصولي، محمد بن يحيى، (ت 335 هـ)، أخبار أبي تمام، تحقيق خليل محمود عساكر وآخرين، بيروت، 1980م.
- 29- الطبري، محمد بن جرير، (ت 310 هـ)، تاريخ الأمم والملوك، (تاريخ الطبري)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، بيروت: دار سويدان، 1982م.
- 30- ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، (ت 322 هـ)، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت: 1982م.
- 31- العاملي، عدي بن الرقاع (ت على الأغلب 101 هـ)، الديوان، شرح أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني (ت 291 هـ)، تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م.
- 32- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، (ت 463 هـ)، الإنباه على قبائل الرواة، مكتبة القدسي، القاهرة: 1350هـ.
- 33- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (ت 328 هـ)، العقد الفريد، القاهرة، المطبعة الأزهرية، 1903م.

- 34- عبید الله بن قیس الرقیّات (ت 85 هـ)، **الديوان**، تحقيق محمد يوسف نجم، ط1، بيروت: دار صادر، 1958م.
- 35- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395 هـ):
أ. **ديوان المعاني**، القاهرة: مكتبة القدسي، 1352هـ.
ب. **الصناعتين**، تحقيق علي الجاوي وأبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1952م.
- 36- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت 817 هـ)، **القاموس المُحيط**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005م.
- 37- القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (ت 392 هـ)، **الوساطة بين المتنبّي وخصومه**، تحقيق علي الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1951م.
- 38- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد، (ت 684 هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: دار الكتب الشرقية، 1966م.
- 39- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت 821 هـ):
أ. **قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان**، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963م.
ب. **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959م.
- 40- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (ت 774 هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي نجيب عطوي وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت
- 41- المبرد، محمد بن يزيد، (ت 286 هـ):
أ. **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط3، بيرزت: مؤسسة الرسالة، 1997م.
ب. **نسب عدنان وقحطان**، تحقيق عبد العزيز الميمني، الهند: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936م.
- 42- المقدسي، محمد بن مفلح، (ت 380 هـ)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، بيروت: مكتبة خياط، 1906.

- 43- امرؤ القيس بن حجر الكندي، ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، ط1، دراسة وتحقيق أنور عليان، ومحمد الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م.
- 44- المرزباني، محمد بن عمران، (ت 384 هـ):
أ. الموشح، القاهرة: دار نهضة مصر، 1965م.
ب. معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فرّاج، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1949م.
- 45- المسعودي، علي بن الحسين، (ت 346 هـ)، مروج الذهب، بيروت: دار الأندلس، 1966م.
- 46- مسلم بن الحجاج، (ت 261 هـ)، الصحيح، خرّج الأحاديث: صدقي جميل العطار، ط1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 2003م.
- 47- ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بالله، (ت 296 هـ)، البديع، تحقيق أغناطيوس كراتشكوفسكي، بيروت: دار المسيرة، 1982م.
- 48- ابن معصوم، علي صدر الدين المدني (ت 1119 هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، النجف الأشرف: مطبعة النعمان، 1969م.
- 49- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711 هـ)، لسان العرب، ط2، بيروت: دار صادر، 2003م.
- 50- الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت 336 هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، ط3، صنعاء: مركز البحوث والدراسات اليمني، 1983م.

ثانياً: المراجع

1. أبو فحافة، أحمد، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ط1، بيروت: منشورات الشرق الجديدة، 1962م.
2. أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م.
3. الأيوبي، ياسين، معجم شعراء لسان العرب، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.
4. با طاهر محمد بن عيسى، البلاغة العربية: مقدّمات وتطبيقات، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م.
5. بدوي، أحمد أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، القاهرة، دار نهضة مصر، 1994م.

6. تحسين محمد الصلاح، عدي بن الرقاع: حياته وشعره، عمان: منشورات وزارة الثقافة، 1999م.
7. التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، ط1، بيروت: دار النهضة العلمية، 1993م.
8. الخواجة، إبراهيم شحادة، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، ط1، الكويت: دار كاظمة للنشر والتوزيع، 1984م.
9. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة: دار الهلال، 1911م.
10. الشايب، أحمد:
- أ. أصول النقد الأدبي، ط10، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1994م.
- ب. تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، ط6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1983م.
11. الشكعة، مصطفى، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1971م.
12. ضيف، شوقي:
- أ. التطور والتجديد في الشعر الأموي، القاهرة: دار المعارف، 1973م.
- ب. العصر الإسلامي، ط4، القاهرة: دار المعارف، 1963م.
- ت. العصر الجاهلي، ط4، القاهرة: دار المعارف، 1960م.
13. عباس، إحسان، شعر الخوارج، ط2، جمع وتقديم: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1974م.
14. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان والبدیع، ط7، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2000م.
15. عبد الرحمن، نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، عمان: مكتبة الأقصى، 1982م.
16. عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992م.
17. عطا الله، رشيد يوسف، تاريخ الآداب العربية، ط1، تحقيق: علي نجيب عطوي، بيروت: مؤسسة عز الدين، 1985م.
18. عطوان، حسين، شعراء الدولتين الأموية والعباسية، ط2، بيروت: دار الجيل، 1981م.

19. علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: دار العلم للملايين، 1978م.
20. عمارة، محمد، **الإسلام وفلسفة الحكم**، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1971م.
21. الفاخوري، حنا، **تاريخ الأدب العربي**، ط2، بيروت: المطبعة البوليسية، 1953م.
22. القط، عبد القادر:
- أ. **في الشعر الإسلامي والأموي**، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1987م.
- ب. **الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر**، ط1، عمان: مكتبة الشباب، 1988م.
23. كحالة، عمر رضا، **معجم قبائل العرب**، بيروت: دار العلم للملايين، 1968م.
24. مردم بك، خليل، **الشعراء الشاميون**، ط1، تحقيق: عدنان مردم، بيروت: دار صادر، د. ت.
25. موسى، أحمد إبراهيم، **الصيغ البديعية في اللغة العربية**، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1969م.
26. الميمني، عبد العزيز، **الطرائف الأدبية**، بيروت: دار صادر، 1937م.
27. النص، إحسان، **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، القاهرة: دار الفكر، 1973م.
28. نور الدين، حسن محمد، **عدي بن الرقاع: أفضل من وصف ظلياً وعيني امرأة**، ط1، بيروت: دار المواسم للطباعة والنشر، 2001م.
29. هلال، محمد غنيمي، **الأدب المقارن**، القاهرة: دار نهضة مصر، 1977م.
30. الوكيل، محمد السيد، **الأمويون بين الشرق والغرب**، ط1، دمشق: دار القلم، 1995م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

1. الحارثي، مريم بنت عوض، **التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع العاملي**، رسالة ماجستير (بلاغة ونقد)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 2001.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
أ	الإقرار
ب	شكر وتقدير
ج	الملخص
د	Abstracts
هـ	المقدمة
1	التمهيد
2	1. اسمه وكنيته ونسبه
3	2. قبيلته، وأصولها التاريخية، وسبب تسميتها ومنازلها
10	3. مولده
11	4. أسرته
12	5. وفاته
16	6. صفاته
20	7. شعره
22	أسباب ضياع شعره
25	الفصل الأول حركة الشعر السياسي حتى نهاية العصر الأموي
26	المبحث الأول: الحياة السياسية زمن الأمويين
26	أولاً: نشوء الخلافة والحزب الأموي حزباً سياسياً

31	ثانياً: الأحزاب السياسية الأخرى بين النشأة ومواجهة الأمويين:
31	1. الخوارج
33	2. الشيعة
35	3. الزبيريين
37	المبحث الثاني: الشعر السياسي
37	أولاً: تعريف الشعر السياسي وأصوله التاريخية وأغراضه
42	ثانياً: عوامل ظهور الشعر السياسي وتطوره:
42	1. النفاق السياسي والنزاع على الحكم
47	2. الخصومات القبلية
49	3. التكسب
54	الفصل الثاني: الأغراض الشعرية ذات التفسير السياسي في ديوان عدي بن الرقاع العاملية؛ دراسة موضوعية:
55	المبحث الأول: غرض المديح:
57	أولاً: الخلفاء
76	ثانياً: الأمراء
82	المبحث الثاني: الأغراض الشعرية الأخرى:
82	أولاً: غرض الفخر
84	ثانياً: غرض الهجاء
86	ثالثاً: غرض الرثاء
89	الفصل الثالث: الأغراض الشعرية في ديوان عدي بن الرقاع العاملة؛ دراسة فنية:
90	المبحث الأول: الصورة الشعرية:
92	1. التشبيه
98	2. الاستعارة
103	3. الكناية

106	المبحث الثاني: بناء القصيدة:
107	1. المقدمة
112	2. حسن التخلّص
114	3. حسن الانتهاء
116	4. اللغة الشعرية
120	المبحث الثالث: الأسلوب:
120	1. الاقتباس
123	2. التكرار
125	3. المحسنات البديعية
125	أ. الطباق
129	ب. المقابلة
131	ت. الجناس
131	- الجناس التام
132	- الجناس الناقص
133	ث. حسن التقسيم
135	الخاتمة
136	التوصيات
137	فهرس المصادر والمراجع
137	أولاً: المصادر
141	ثانياً: المراجع
143	ثالثاً: الرسائل الجامعية
144	فهرس المحتويات